هدية
مجانية العدد القادم

التوحيد

مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الثانية والثلاثون . العدد الثاني عشر . ذو الحجة ١٤٢٤هـ . الثمن ١ جنيه

تحريم دماءِ المسلمين وأعراضهم وأموالهم

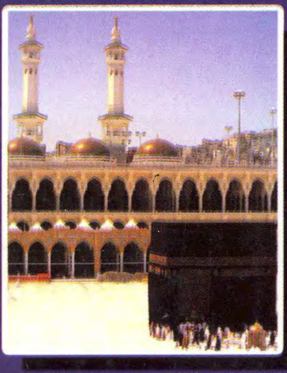

- هل في الإسلام بدعة حسنة؟!
- ميقات صلاة الفجر
- أفضل أيام الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة **د. جمال المراكبي**

مجلة
التوحيد
إسلامية ـ ثقافية ـ شهرية

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

السلام عليكم

وزارة الثقافة .. ومواقف مخزية!!

إذا كان المسلمون لم يفيقوا بعد من الموقف الغريب والذي عبر عن رأي مشيخة الأزهر بخصوص أزمة الحجاب المثارة في فرنسا وردود الأفعال المتباينة حول القضية التي هي قضية كل مسلم. وأن فرضية الحجاب لا تتغير من ديار إسلام إلى أقلية إسلامية في بلاد الكفر. تفاجئنا وزارة الثقافة التي استضافت بالأمس القريب أدعياء الثقافة في مؤتمر مشبوه للطعن في ثوابت الإسلام، بما هو معتاد منها وما هو أفجع من سابقه فقد أصدر الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب بيانًا لدور النشر الدينية الراغبة في المشاركة بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ٣٦ بقرار غريب مفاده الحد من مشاركة الكتب الدينية في المعرض. ثم التراجع وإصدار التعليمات بأن تقتصر المشاركة لدور العرض بالكتب الدينية في سراي «٧» فقط!

وهذا الموقف الغريب لوزارة الثقافة يضيف إلى رصيدها المتلئ بالكيد للإسلام بالرغم أن الكتب الدينية تمثل العمود الفقري في حركة البيع بالمعرض حيث تزيد نسبة البيع في دور العرض عن ٥٠٪ من تلك الكتب. إنها الحملة المسعورة على الإسلام.

رحماك يا رب العالمين!!

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت	www.altawhed.com
موقع المركز العام	www.ELsonna.com

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

التحرير / ٨ شارع قوله ـ عابدين القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

في هذا العدد

الافتتاحية : «لبيك اللهم لبيك» د . جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير ٥
باب التفسير : «سورة الطلاق» الحلقة الثانية
د . عبد العظيم بدوي ٩
باب السنة : «تحريم دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم»
زكريا حسيني ١٣
منبر الحرمين : «حال المسلمين مع الصلاة» صالح آل طالب ١٧
«الأدب مع الله» أحمد بن عبد الرحمن الشنواني ٢١
«هل في الإسلام بدعة حسنة» معاوية محمد هيكل ٢٢
«أفضل أيام الدنيا» سعد بن عتيق ٢٥
«مختارات من علوم القرآن» مصطفى البصراتي ٢٧
«مفاهيم عقائدية» أسامة سليمان ٣٠
«التوحيد أساس العزة» شوقي عبد الصادق ٣٢
«زلزال إيران» سمير تقي الدين ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
«نظرات على الطلاق» متولي البراجيلي ٣٨
«الإعلام بسير الأعلام» مجدي عرفات ٤١
«القول السديد» عبد الرازق عبد المحسن البدر ٤٣
«كيف نفهم العقيدة»؟ د. محمود عبد الرازق ٤٦
«وقفات على طريق الدعوة» فهد اليحيى ٤٨
«أطفال المسلمين » جمال عبد الرحمن ٥٠
«تحذير الداعية» علي حشيش ٥٣
«صحح أحاديثك» ٥٧
فتاوى المركز العام : لجنة الفتوى ٥٩
«فتاوى ابن عثيمين» الشيخ ابن عثيمين ٦٢
«من فقه الحج» أبو بكر الحنبلي ٦٤
«الجمعية العمومية» ٦٨
«كشاف التوحيد لعام ١٤٢٤ هـ» ٦٩

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر جنيه واحد ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

التوزيع الداخلى
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

هدية مجانية العدد القادم
التوحيد
تحريم دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم

افتتاحية العدد

لبيك اللهم لبيك

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

ها هي أيام الحج قد دخلت، ونسمات عرفة ومزدلفة ومنى تداعب وجوه المؤمنين، فتلهب مشاعرهم شوقًا ولهفة لحج البيت العتيق فتهتف القلوب قبل الألسنة: لبيك اللهم لبيك، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقد عزم إخواننا بوزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية على إصدار مطبوعة جديدة في الحج بعنوان «لبيك» فهيجني هذا للحديث عن التلبية والإجابة.

لبيك اللهم لبيك

التلبية لغة إجابة المنادي، والإجابة والاستجابة بمعنى واحد، والإجابة قد تكون بالفعل، كإجابة الدعوة إلى الوليمة.

وقد تكون بالقول بجملة كرد السلام، أو بحرف الجواب مثل نعم وبلى، وقد تكون بالإشارة المفهومة.

وقد يعتبر السكوت إجابة مثل سكوت البكر عند استئذانها في الزواج لقول النبي ﷺ: «البكر تُستأذن، وإذنها صماتها».

التلبية سلوك عام للمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، وترك ما نهى عنه، والإيمان به وإخلاص العبادة له سبب في الهداية والرشاد، ولهذا ورد الأمر بها.

استجابة مؤمني الجن

لقد عرف مؤمنو الجن أن استجابة المؤمنين لربهم هي سبيل النجاة من العذاب ومغفرة الخطايا والذنوب، وأن الذين يستكبرون عن طاعة الله لن يكونوا معجزين لله في الأرض، فجاءوا مسرعين لدعوة أقوامهم، ناصحين لهم، قد امتلأت قلوبهم باليقين، وقد ذكر الله لنا خبرهم فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢].

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء الذين هداهم الله فصرفهم بقدرته للقاء رسول الله ﷺ فاستمعوا إلى تلاوته فعرفوا كلام الله وأنصتوا عند سماعه، فتدبروا ما سمعوه فآمنوا به، ثم انصرفوا يحملون أمانة

الدعوة وينذرون أقوامهم ويأمرونهم بالاستجابة لداعي الله الذي لا هم له إلا الدعـوة إلى الله، لا يسألهم عليها أجرًا عسى الله أن يغفر ذنوبهم ويجيرهم من عذاب النار، وإذا أجارهم من العذاب الأليم فقد فازوا بالنعيم المقيم، أما من أبى واستكبر فلن يعجز الله في الأرض وليس له من دون الله من أولياء يدفعون عنه العذاب يوم القيامة، فأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل، وبلغته النذر بالآيات البينات ثم أعرض واستكبر، أولئك في ضلال مبين.

الله يستجيب للمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فانظر إلى لطف الله بعباده، ونعمه عليهم، كيف دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاءَ العبادة ودعاءَ المسألة، وبين لهم أنه قريب يجيب دعوة الداعي ويستجيب له، أما الذين يستكبرون عن عبادته ودعائه فمآلهم العذاب الأليم، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ويدخلون جهنم داخرين.

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذن نكثر؟ قال: «الله أكثر». أي ما عند الله من الفضل والعطاء أكثر من الدعاء مهما أكثرتم من الدعاء، وهو سبحانه يدعو عباده إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة وهو الغني عنهم: «يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم». رواه مسلم.

استجيبوا لله وللرسول

ينادي المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين يدعوهم إلى أن يستجيبوا لما فيه حياة القلوب والأبدان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [الشورى: ٤٧، ٤٨].

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: «ما منعك أن تأتي، ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد»، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

جزاء المستجيبين الجنة

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

يكفيهم الله ما أهمهم

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

منهاج المستجيبين

وقال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦- ٤٣].

التلبية في الصلاة

تتجلى التلبية كسلوك يومي للمسلم في إجابة المؤذن حيث ينادي حي على الصلاة، حي على الفلاح فيجيب السامع ويردد كلمات الأذان مكبرًا ومهللاً ومحوقلاً، عالمًا أن الحول والقوة لا تكون إلا بالله القوي العزيز، الذي هداهم للإيمان والطاعة، ثم دعاهم ليستجيبوا له مسبحين بحمده، فهو الذي يدعوهم وهو الذي يوفقهم، وهو الذي يستجيب لهم ويقبل منهم ويجازيهم بفضله.

ولهذا علمنا النبي ﷺ إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول معلنين الاستجابة للنداء، ساعين إلى لقاء الله عز وجل، وعلمنا إذا شرعنا في الصلاة أن نلبي بعدما نكبر فنقول في استفتاح الصلاة: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، اسستغفرك وأتوب إليك.

روى مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

التلبية في الحج والعمرة

التلبية هي شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك».

وجاء النبي الخاتم ﷺ ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبى بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم ماداموا على التوحيد، ولكنه ﷺ التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له.

وقد صح عن ابن عمر أنه كان يلبي بتلبية رسول الله ﷺ ويزيد مع هذا: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل». رواه مسلم.

«لبيك مرغوبًا ومرهوبًا إليك، ذا النعماء والفضل الحسن». [ابن أبي شيبة- فتح الباري (٤١٠/٣)].

ويروى عن أنس: «لبيك حقًا حقًا تعبدًا ورقًا».

وتبدأ التلبية عند الإحرام بالإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء يوم النحر.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج». رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى: أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك.

لقد كان الصحابة يلبون إذا دعاهم رسول الله ﷺ فيقول الواحد منهم: لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله ﷺ متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والاستجابة حتى يلقى الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

تكالب أهل الكفر على الإسلام والمسلمين!!

بقلم

رئيس التحرير

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. وبعد.

إن كل ما يصيب المسلم من ابتلاء أو مصيبة هو خير له في دينه ودنياه لأن الذي قدره عليه هو رب العالمين، وإن الزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات المدمرة ونزول الماء غرقًا أو غدقًا كلها من آيات الله في الكون التي تحدث لتحقق مراد الله في الإنسان من أخذ العبرة والعظة في أن للكون إلهًا يجب أن يعبد والله تعالى يقول: ﴿سَنُرِيهم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنْفُسِهِم حَتى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَق﴾. وحتى الآيات التي ينتفع بها الإنسان من شمس وقمر وسحاب ومطر وغيرها آيات تمر أمام الإنسان لتظل عظته قائمة وعبرته متحققة لا تغيب وتعينه على الثبات على الحق واليقين بأن أمره يرجع إلى الله وحده لا إلى أحد سواه.. وهذه الآيات حين تقع يخاطب بها الإنسان حيث كان لأنها آيات يخاطبه بها الله عز وجل لكي يعود إلى ربه فيذكره ولا ينساه، فهي تذكر الكافر بوجود الله وتثبت يقين المؤمن وثقته بربه سبحانه!!

ابتلاءات.. وطعنات الأعداء من كل الجبهات

الكوارث والنكبات تنهال على المسلمين في كل مكان فبالأمس القريب ضرب زلزالٌ مدمرٌ مدينة «بام» الإيرانية أودى بحياة أكثر من خمسين ألف شخص وشرد أكثر من مائة ألف وأثار الرعب والفزع في المنطقة كلها، ومع حدوث زلزال إيران المدمر الذي لا نملك تجاهه إلا أن نبتهل إلى المولى عز وجل أن يرفع عنا البلاء.

تستمر طعنات الأعداء فلم تتوقف الحملات والممارسات الخبيثة لقوات الغزو التتاري بقيادة أمريكا عن دمار وتحطيم كل ما يرمز له برمز إسلامي فهي تريد أن تحطم في المسلم معنوياته وتقضي عليها لتبث الخوف والرعب في نفوس المسلمين في كل مكان فها هي قوات الغزو التتاري في العراق تواصل أساليبها القذرة لتحطيم شعب العراق ليكون عبرة لمن يعتبر فتواصل قواتها اقتحام المنازل وانتهاك الحرمات وترويع الآمنين داخل ديارهم بل تعدى ذلك إلى تدنيس حرمة المساجد واقتحامها بمئات الجنود المدججين بالسلاح واعتقال المصلين داخل المساجد.

والدور الأمريكي الخطير والتحركات المشينة التي تتخذها قوات الاحتلال في تهميش وضع أهل السُّنَّة في العراق لإجهاض الجهود المستمرة والهادفة إلى تشكيل قيادة دينية سيئة يكون لها دور محوري في مستقبل العراق، إضافة إلى زرع بذور الفرقة بين المسلمين العراقيين بكل طوائفهم، وكان آخر تلك الحماقات هو اعتداء قوات الغزو التتاري على مسجد بن تيمية في بغداد حين اقتحمت القوات الأمريكية المسجد بطريقة وحشية منتهكة حرمة المسجد واعتقلوا الشيخ صالح مهدي صالح وهو أحد أبرز الشخصيات الدينية لدى السنَّة ومعه عشرين من أتباعه وفي أغلب الأحوال تكون الحجج الواهية التي تطلق على المسامع هي البحث عن أفراد المقاومة والتفتيش عن الأسلحة المخبأة.

كثرة الابتلاءات.. والحاجة لغفران الذنوب

إن ما يقع من ابتلاءات توجب على المسلم محاسبة نفسه محاسبة شديدة دائمة بلا انقطاع، فمن راقب ربه وخشيه، وحاسب نفسه وألزمها بما تقرِّبه إلى الله، وتباعد بينه وبين الذنوب والآثام. صلح باله، وحسُنَ حاله

ومآله. قال الله تعالى: ﴿وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

فمن حاسب نفسه وراقبها وصبر على عبادة الله عز وجل فاز في الدنيا والآخرة، وأما من أعطى نفسه هواها وأطلق لها العنان في مراتع الضلال والشهوات والفساد وأضاع حظها من العبادة لله، وأعرض عن سنة رسوله ﷺ ولم يحاسب نفسه فقد ساء حاله وخُبث مآله، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النازعات:٣٧-٣٩] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَاقَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

طريق النجاة

وأن الغاية العظمى لكل مسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له جميع ذنوبه حتى ينجو يوم القيامة وإننا نذكر ببعض الأعمال - والتي فيها الأجر الكبير - من أحاديث الرسول ﷺ:

•• التوبة: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» [مسلم ٢٧٠٣] «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».

•• ذكر الله تعالى: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا بلى. قال: ذكر الله تعالى» [الترمذي ٣٣٤٧]

•• السعي في طلب العلم: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهلّ الله له به طريقًا إلى الجنة» [مسلم ١٠٠٥]

•• عمل المعروف والدلالة على الخير: «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله» [البخاري١٠/٣٧٤، مسلم١٠٠٥]

•• قراءة القرآن الكريم وتلاوته: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» [مسلم٨٠٤]

•• تعلم القرآن الكريم وتعليمه: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري٩/٦٦]

•• إفشاء السلام: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم» [مسلم٥٤]

•• الحب في الله: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم بظلي يوم لا ظل إلا ظلي» [مسلم٢٥٦٦]

•• مساعدة الناس في الدين: «من يسّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة» [مسلم٢٦٩٩]

•• الستر على الناس: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» [مسلم ٢٥٩٠]

•• صلة الرحم: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» [البخاري [١٠/٣٥٠، مسلم٢٥٥٥]

•• حسن الخلق: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» [الترمذي٢٠٠٣]

•• الصدق: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة» [البخاري١٠/٤٢٣، مسلم٢٦٠٧].

طعنات الأعداء لم تتوقف والممارسات الخبيثة لقوات الغزو التتاري بقيادة أمريكا مستمرة في تحطيم وتدمير كل ما يرمز له برمز إسلامي

•• كظم الغيظ: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء» [الترمذي٢٠٢٢]

•• الصلاة على النبي ﷺ: «من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا» [مسل٣٨٤].

•• الصوم: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله تعالى إلا باعدالله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا» [البخاري٦/٣٥، مسلم١١٥٣]

•• صيام ثلاثة أيام من كل شهر: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله» [البخاري ٤/١٩٢]

•• صيام رمضان: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه» [البخاري٤/٢٢١، مسلم١١٥٩]

•• صيام ست من شوال: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصوم الدهر» [مسلم١١٦٤]

•• صيام يوم عرفة: «صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية» [مسلم١١٦٢]

•• صيام يوم عاشوراء: «وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» [مسلم١١٦٢]

•• تفطير الصائم: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا» [الترمذي٨٠٧]

•• قيام ليلة القدر: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» [البخاري٤/٢٢١، مسلم]

•• الصدقة: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار» [الترمذي٢٦١٦]

•• الحج والعمرة: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [مسلم١٣٤٩]

•• العمل في أيام العشر من ذي الحجة: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام يعني أيام عشر ذي الحجة» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» [البخاري٢/٣٨١]

•• الجهاد في سبيل الله: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها» [البخاري٦/١١]

•• الإنفاق في سبيل الله: «من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله فقد غزا» [البخاري٦/٣٧، مسلم٩٤٥]

•• حفظ اللسان والفرج: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» [البخاري١١/٢٦٤]

•• فضل لا إله إلا الله وفضل سبحان الله وبحمده: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمس، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه. وقال: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» [البخاري١١/١٦٨،

إن كل ما يصيب المسلم من ابتلاء أو مصيبة هو خير له في دينه ودنياه لأن الذي قدره عليه هو رب العالمين

مسلم٢٦٩١]

•• كفارة المجلس: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» [الترمذي٣/١٥٣]

•• الصبر: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غَم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها خطاياه» [البخاري١٠/٩١]

•• السعي على الأرملة والمسكين: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يُفطر» [البخاري١٠/٣٦٦]

•• كفالة اليتيم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى» [البخاري١٠/٣٦٥]

•• الذكر بعد الوضوء: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» [مسلم٢٣٤]

•• بناء المساجد: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بني له مثله في الجنة» [البخاري٤٥٠]

•• السواك: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» [البخاري٢/٣٣١]

•• الذهاب إلى المسجد: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح» [البخاري٢/١١٢٤، مسلم٦٦٩]

•• الصلوات الخمس: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» [مسلم٢٢٨]

•• صلاة الفجر وصلاة العصر: «من صلى البردين دخل الجنة» [البخاري٢/٤٣]

•• صلاة الجمعة: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام» [مسلم٨٥٢]

•• السنن الراتبة مع الفرائض: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة» [مسلم٧٢٨]

•• صلاة التوبة: «ما من عبد يذنب ذنبًا، فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له» [أبو داود/١٥٢١]

•• صلاة الضحى: «يصبح على كل سُلامى أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى» [مسلم٧٢٠]

وكل ذلك من الأعمال التي نرجو الله سبحانه وتعالى أن يغفر بها ذنوبنا، ويكفر عنا سيئاتنا عسى الله أن يبدل أحوالنا، ويهيء لنا من أمرنا رشدا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

من حاسب نفسه وراقبها وصبر على عبادة الله عز وجل فاز في الدنيا والآخرة، وأما من أعطى نفسه هواها وأطلق لها العنان في مراتع الضلال فقد ساء حاله وخبث مآله

سورة الطلاق

•• الحلقة الثانية ••

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق: ٢ - ١٢].

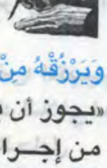

إعداد

د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

إن تقوى الله هي التي تعين على الائتمار بما أمر الله، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، ولذلك يأمر الله عز وجل بها كثيرًا، قبل الأمر والنهي أو عقبها، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾، ولما ذكر الله تعالى في أول السورة الكريمة حدود الطلاق، ووصف متعدّيها بالظلم، رغب بعد ذلك في التقوى التي تعين على احترام تلك الحدود والوقوف عندها، فقال :﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾، قال الزمخشري: «يجوز أن يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة، وطريقه الأحسن، والأبعد من الندم، ويكون المعنى: ومن يتق الله فيطلق للسنة، ولم يضارّ المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها، واحتاط فأشهد، يجعل له مخرجًا مما في شأن الأزواج من الغموم، والوقوع في الضيق، ويفرج عنه وينفس، ويعطه

الخلاص، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه، إن أوفى المهر، وأدى الحقوق والنفقات وقلّ ماله. ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ يعني: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ومخلصًا من غموم الدنيا والآخرة». [الكشاف: ٤/١٠٩].

وقال ابن القيم: «اعلم أن من اتقى الله في طلاق، فطلّق كما أمره الله ورسوله، وشرعه له، أغناه الله تعالى عن حيل أهل الحيل، فإن الله تعالى قال بعد أن ذكر حكم الطلاق المشروع: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، فلو اتقى الله عامّة المطلقين لاستغنوا بتقواه عن الآصار والأغلال، والمكر والاحتيال، فإن الطلاق الذي شرعه الله سبحانه: أن يطلقها طاهرًا من غير جماع، ويطلقها واحدة، ثم يدعها حتى ينقضي عدتها، فإن بدا له أن يمسكها في العدة أمسكها، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها أمكنه أن يستقبل العقد عليها من غير زوج آخر، وإن لم يكن له فيها غرض لم يضره أن تتزوج بزوج غيره، فمن فعل هذا لم يندم، ولم يحتج إلى حيلة ولا تحليل». [إغاثة اللهفان: ١/٢٨٣].

فاتقوا الله في طلاقكم، وتوكلوا على الله ربكم، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في جلب المصالح ودفع المضار، ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه ما توكل عليه فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ «أي يبلغ ما أراد من أمره، وإن تأخر، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي حدًا وتقديرًا، حسبما تقتضيه الحكمة». [محاسن التأويل: ١٦/١٩٩].

فاللائي يحضن عدّتهنّ ثلاثة قروء، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، والراجح أن القرء هو الحيضة.

واللائي يَئِسْنَ من المحيض؛ الكبيرات السن فعدتهن ثلاثةُ أشهر، وكذلك اللائي لم يحضن لصغرٍ أو غيره، هذا حكم غير الحامل.

﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وقد قضى بذلك رسول الله ﷺ، فعن الزبير بن العوّام: أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة، فقالت له وهي حامل: طيّبْ نفسي بتطليقة، فطلّقها تطليقة، ثم خرج إلى الصلاة فرجع وقد وضَعَتْ، فقال: ما لها؟ خَدَعَتْني خدعها الله، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقال: «سبق الكتابُ أجلَه، اخْطُبها إلى نفسها».

ولا فرق في ذلك بيْن المطلّقة والمتوفّى عنها زوجُها، فهما في هذا الحكم سواء، لما رواه مسلم من حديث سبيعة بنت الحارث الأسلمية: أنها كانت تحت سعد بن خولة، فتُوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعتْ حملها بعد وفاته، فلما تعلّت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: ما لي أراكِ متجملة؟ لعلّك ترجين النكاح. إنك والله ما أنتِ بناكح حتى تمرّ عليك أربعةُ أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك، جمعتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألتُه عن ذلك؟ فأفتاني بأني قد حللتُ حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي، قال ابن شهاب (أحد رواة الحديث): فلا أرى بأسًا أن تتزوّج حين وضعت، وإن كانت في دمها غير أن لا يقربها زوجُها حتى تطهر.

ولما كان الطلاق لا يقع إلا عند نزاع وشقاق، ويفضي- غالبًا- إلى العداوة والبغضاء، حثَّ الله تعالى على التقوى ورغّب فيها، وكرّر ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ «أي فلم يخالف إذنه في طلاق امرأته ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ وهو تسهيل الرجعة ما دامت في عدتها، والقدرة على خطبتها إن انقضت ودعته نفسه إليها، بسبب التقوى». [محاسن التأويل: ١٦/٢٠٠].

ثم يؤكد الله تعالى على ضرورة التزام ما شرع في الطلاق فيقول: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ فائتمروا به والتزموه ولا تخالفوه، ومرة ثالثة يرغبهم في الالتزام فيقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

ثم بيّن سبحانهَ حكم المطلقة في السكنى والنفقة فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

يقول تعالى آمرًا عباده إذا طلق أحدُهم المرأة أن يُسْكِنَها في منزل حتى تنقضي عدّتُها، فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي عندكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرُ واحد يعني سعتكم. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرُها لتفتدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثيرٌ من العلماء: هذه في البائن إن كانت حاملاً أنفقَ عليها حتى تضع حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجبُ نفقتها، سواء كانت حاملاً أو حائلاً، وقال آخرون: بل السياق كلّه في الرجعيات، وإنما نصّ على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدّته غالبًا، فاحتاج إلى النصّ على وجوب الإنفاق حتى الوضع؛ لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار العدة. اهـ. من ابن كثير.

قلت: والآية عامة، فهي تشمل الرجعية باتفاق، والبائنَ على الراجح، لما رواه أحمد عن عبيد الله بن عبد الله أن أبا عمرو بن حفص بن المغيرة خرج مع علي بن أبي طالب إلى اليمن فأرسل إلى فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها، وأمر لها الحارث بن هشام وعياشُ بنُ أبي ربيعةَ بنفقة، فقال لها: والله ما لك من نفقة إلا أن تكوني حاملاً، فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «لا إلا أن تكوني حاملاً» وذكر تمام الحديث.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي إذا وضعن حملهنّ وهُنّ طوالق فقد بِنَّ بانقضاء عدتهن ولها حينئذ أن تُرضع الولدَ ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبَنْ الذي لا قوامَ للمولودِ غالبًا إلا به، فإن أرضعتْ استحقتْ أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارّة، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ أي: إن اختلف الرجلُ والمرأةُ فطلبتِ المرأةُ في أجرةِ الرضاع كثيرًا ولم يجبها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجلُ قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأمّ بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحقّ بولدها. انتهى من ابن كثير.

ثم يفصل الأمر في قدر النفقة، فهو اليسر والتعاون والعدل، لا يجور هو، ولا تتعنّت هي، فمن وسّع الله عليه رزقه فلينفق عن سعة، سواء في السكن أو في نفقة المعيشة أو في أجر الرضاعة. ومن ضُيّق عليه في الرزق، فليس عليه من حرج، فالله لا يطالبُ أحدًا أن ينفق إلا في حدود ما آتاه، فهو المعطي، ولا يملك أحدٌ أن يحصل على غير ما أعطاه الله، فليس هناك مصدرٌ آخرُ للعطاء غيرُ هذا المصدر، وليست هناك خزانة غير هذه الخزانة: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾.

وإفساحُ الرجاء، للاثنين على السواء: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ فالأمر منوطٌ بالله في الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر، فأَوْلَى لهما إذن أن يعقدا به الأمر كله، وأن يتجها إليه بالأمر كله، وأن يراقباه ويتقياه، وهو المانح المانع، القابض الباسط، وبيده الضيق والفرج، والعسر واليسر، والشدّة والرخاء.

وإلى هنا يكون قد تناول سائر أحكام الطلاق ومتخلفاته، وتتبع كل أثرٍ من آثاره حتى انتهى إلى حلٍّ واضح، ولم يدع من البيت المتهدّم أنقاضًا ولا غبارًا يملأ النفوس ويغشي القلوب، ولم يتركْ بعده قلاقل تثير الاضطراب وإن الزوجين ليفترقان- في ظلّ تلك الأحكام والتوجيهات- وفي قلوبهما بذور للودّ لم تمت، ونداوة قد تُحيي هذه البذور فتنبت، ذلك هو الأدب الجميل الرفيع الذي يريد الإسلام أن يُصْبَغَ به حياةَ الجماعة المسلمة، ويشيع فيها المودة والتراحم.

فإذا انتهى السياق من هذا كلّه ساق العبرة الأخيرة في مصير الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله، فلم يسمعوا ولم يستجيبوا وعلق هذه العبرة على الرؤوس، تذكرهم بالمصير البائس الذي ينتظر من لا يتقي ولا يطيع، كما تذكرهم بنعمة الله على المؤمنين المخاطبين بالسورة والتشريع.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾.

وهو إنذارٌ طويل، وتحذير مفصّل المشاهد، كما أنه تذكيرٌ عميقٌ بنعمة الله بالإيمان والنور، ووعده بالأجر في الآخرة، وهو أحسن الرزق وأكرمه.

فأَخْذُ الله لمن يعتو عن أمره ولا يسلّم لرسله هو سنة متكررة: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ وتفصيل أخذها وذكر الحساب العسير، والعذاب النكير، ثم تصوير العاقبة وسوء المصير، ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾، ثم تأخير صورة هذه العاقبة الخاسرة في الآية التالية: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ من كلّ هذا المشهد وتفصيل خطواته ومراحله، وهي طريقةٌ من طرق الأسلوب القرآني في تعميق الأثر في الحسّ وإطالة مكثه في الأعصاب، ومواجهة هذا الإنذار ومشاهده الطويلة، كل ذلك يهتف بأولي الألباب الذين آمنوا، الذين هدتهم ألبابهم إلى الإيمان، يهتف بهم ليتقوا الله الذي أنزل لهم الذكر: «قد أنزل الله لكم ذكرًا» يعني: القرآن، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾، قال بعضهم: رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلّغ الذكر، وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمةٌ عن الذكر، يعني تفسيرٌ له، ولهذا قال تعالى: «رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات» أي في حال كونها بينة واضحة جلية، ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمّى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورًا لما يحصل به من الهدى، كما سمّاه روحًا لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، وفوق نعمة الذكر والنور والهداية والإصلاح وعدٌ بنعيم الجنات خالدين فيها أبدًا: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ وتذكير بأن هذا الرزق هو أحسن الرزق، فلا يقاس إليه رزق الأرض: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ وهو الرزق الذي في الدنيا والآخرة، ولكنّ رزقًا خيرٌ من رزق، واختياره للأحسن هو الاختيار الحق الكريم.

وهكذا يشير إلى الرزق مرةً أخرى، ويهوّن بهذه الإشارة من رزق الأرض، إلى جانب رزق الجنة، بعدما وعد في المقاطع الأولى بسعة رزق الأرض أيضًا.

وفي الختام يجيء ذلك النظم الهائل، فيربط موضوع السورة وتشريعاتها وتوجياتها بقدر الله، وقدرة الله، وعلم الله، في المجال الكوني العريض.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

يقول تعالى مخبرًا عن قدرته التامة، وسلطانه العظيم، ليكون ذلك باعثًا على تعظيم ما شرع من الدين القويم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾، وكقوله تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أي: سبعًا أيضًا، كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوق من سبع أرضين».

وبين هذه السماوات السبع والأرضين السبع ينزل أمر الله لينشيء في قلب المؤمن عقيدة أن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء مما يريد، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا يعزب عن علمه شيء مما يكون في ملكه الواسع العريض، ولا مما يسرونه في حنايا القلوب.

وهكذا تختم السورة بهذا النسق الذي يهوي ويروع بقدر ما يحرك القلوب لتجيب وتطيع، فسبحان خالق القلوب، العليم بما فيها من المخبآت والغيوب.

باب السنة

تحريم دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.. وبعد:

فقد أخرج الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادَى وشعبان، أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه». ثم قال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد».

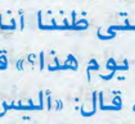

بقلم

زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في تسعة مواضع من صحيحه في كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع» رقم (٦٧)، وفي باب «ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ» رقم (١٠٥)، وفي كتاب الحج باب الخطبة أيام منى رقم (١٧٤١)، وفي كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين رقم (٣١٩٧)، وفي كتاب المغازي باب حجة الوداع رقم (٤٤٠٦)، وفي كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ رقم (٤٦٦٢)، وفي كتاب الأضاحي باب من قال الأضحى يوم النحر رقم (٥٥٥٠)، وفي كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» رقم (٧٠٧٨)، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ رقم (٧٤٤٧)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

راوي الحديث:

هو مولى النبي ﷺ، اسمه نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح، تدلَّى في حصار الطائف ببكْرَةٍ فكني بأبي بكرة لذلك، وفرَّ إلى

النبي ﷺ، وأسلم على يديه، وأعلمه أنه عبد فأعتقه، حَدَّثَ عنه بنوه الأربعة: عبيد الله، وعبد الرحمن، وعبد العزيز ومسلم، كما حدث عنه أبو عثمان النهدي والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم، أورد الذهبي في السير عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما اشتكى أبو بكرة عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلما نزل به الموت قال: أين طبيبكم؟ ليردها إن كان صادقًا! كما أورد أن ثقيفًا سألوا رسول الله ﷺ أن يرد إليهم أبا بكرة عبدًا، فقال: «لا، هو طليق الله وطليق رسوله».

شرح الحديث:

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في باب «الخطبة أيام منى»، وجاء في أوله قول أبي بكرة رضي الله عنه: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، وفيه دليل على مشروعية الخطبة والتذكير وشرح المناسك يوم النحر للإمام أو نائبه.

وقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»، قال الإمام النووي في شرح مسلم: قال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية كانوا يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر وصادفت حَجَّة النبي ﷺ تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم الله به يوم خلق السماوات والأرض، وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون أي يؤخرون، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.

أصبحت الدماء الآن تستباح لأهون الأسباب،

حرم الإسلام دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم

كان أهل الجاهلية إذا احتاجوا إلى قتال في الأشهر الحرم

وقوله ﷺ: «السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان»: السنة اثنا عشر شهرًا، هذه عدة الشهور عند الله كما ذكر الله عز وجل في كتابه: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ((التوبة: ٣٦))، وأما منها أربعة حرم فهي الأشهر الأربعة التي حرمها الله عز وجل بينها النبي ﷺ بقوله: «ثلاثة متواليات» وهي: ذو القعدة بفتح القاف على المشهور، وقيل يجوز كسرها وهو قليل، وذو الحجة بكسر الحاء على المشهور أيضًا، ويجوز فتحها وهو قليل، والمحرَّم، والرابع رجب الفرد وبَيَّنَهُ النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «رجبُ مُضَرَ» أو «رجبُ شهرُ مُضَرَ»، وإنما أضافه النبي ﷺ إلى مضر لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم، وقيل: إن ربيعة ومضر كانوا يختلفون في رجب، فكانت مضر تجعله هذا الشهر المعروف، وأما ربيعة فكانت تجعله رمضان، وإنما قيده النبي ﷺ هذا التقييد بقوله: «الذي بين رجب وشعبان» مبالغة في إيضاحه وإزالةً للبس عنه، فقد قيل إن العرب كانت تسمي رجبًا وشعبان الرجبين، وقيل: كانت تسمي جُمَادَى ورجبًا جُمَادَيْن وتسمي شعبان رجبًا، فلذلك جاء هذا التقييد لإزالة ما فيه من لبس.

قال النووي رحمه الله: وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحُرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدها فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهلُ الأدب: يقال: المحرم ورجب، وذو القعدة، وذو

والأموال تؤكل بالباطل أكثر من أكلها بالحق

كحرمة مكة والأشهر الحرم

أخروا تحريم الشهر المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر

الحجة ليكون الأربعة من سنة واحدة.
وقال علماء المدينة والبصرة وجماهير العلماء هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة ومنها هذا الحديث الذي نحن فيه، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناس من الطوائف كلها.

قال الحافظ في الفتح: قيل الحكمة في جعل المحرم أول السنة أن يحصل الابتداء بشهر حرام ويختم بشهر حرام، وتتوسط السنة بشهر حرام وهو رجب، وإنما توالى شهران في الآخر لإرادة تفضيل الختام، والأعمال بالخواتيم. اهـ.

قوله ﷺ: «أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا بلى... إلخ.

قال النووي رحمه الله: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم، وأما قولهم: الله ورسوله أعلم فإن هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أن الرسول ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون، بل هناك أمر آخر يريد النبي ﷺ أن يقرره ويبينه.

وقوله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»: المراد من ذلك تأكيد غلظ تحريم الدماء والأموال والأعراض والتحذير من التهاون فيها، أما الدماء فإنها أصبحت الآن تستباح لأهون الأسباب، فيقتل المسلم أخاه المسلم بل قريبه لسبب من الأسباب التافهة التي لا تبرر ذلك كسبٍّ أو شَتْم أو لطمع في مال أو خلاف أسري بين الزوجين، فإن الواحد إذا ظن أن أخاه يريد أن يسلب شيئًا من ماله- مجرد ظن دون تيقن- فإنه سرعان ما يفكر في قتله والتخلص منه، وأما الأموال فقد صارت تؤكل بالباطل أكثر من أكلها بالحق، ولا يبالي المرء من أين أخذ المال أمن حلال أم من حرام، فالغش والتحايل والسلب والنهب والرشوة والغصب والربا وغير ذلك من أمور انتشرت حتى أصبح الحرام يطغى على الحلال، بل ربما نظر الناس إلى من يتحرى الحلال على أنه ساذج أبله ليس ماهرًا ولا محنكًا، وأما الأعراض فقد استبيحت تحت مسميات الحرية أو التحرر أو التقدم والتطور والمدينة، مع أن الإسلام جاء بأعظم حضارة عرفها التاريخ وذلك مع حفظ الأعراض ونشر العفة والفضيلة وقمع الرذيلة ومنع الفاحشة أن تشيع في المجتمع، ويوم ترك المسلمون أحكام دينهم واتجهوا إلى الغرب أو الشرق يستجلبون التقاليد من هنا وهناك شاعت الفاحشة وظهرت الأمراض التي لم تكن معهودة ولا معروفة في المجتمعات الإسلامية، وذلَّ المسلمون وهانوا على الناس لأنهم هانوا على الله بسبب هوان دينهم عليهم.

وقوله ﷺ: «وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم» فيه التذكير بما يجده الإنسان في يوم القيامة من سؤال عمَّا قدَّم من عمل، والمقصود ليس مجرد السؤال، بل المحاسبة على الأعمال، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾.

والأعمال توزن ويجزى العامل بما قدم، فمن ثقلت موازينه فهو من المفلحين، ومن خفت موازينه فهو من الخاسرين، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا

أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾.

قوله ﷺ: «فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي رواية عند مسلم: «فلا ترجعُنَّ»، وفي رواية أخرى في الصحيحين: «كفارًا» بدل «ضلالاً». قال الحافظ في الفتح: جملة ما فيه من الأقوال ثمانية: أحدها: قول الخوارج إنه على ظاهره. ثانيها: هو في المستحلين (أي من يستحل قتل أخيه المسلم). ثالثها: المعنى كفارًا بحرمة الدماء وحرمة المسلمين وحقوق الدين. رابعها: تفعلون فعل الكفار في قتل بعضهم بعضًا. خامسها: لابسين السلاح، يقال: كفر درعه إذا لبس فوقها ثوبًا. سادسها: كفارًا بنعمة الله. سابعها: الزجر عن الفعل وليس ظاهره مرادًا. ثامنها: لا يُكَفِّر بعضكم بعضًا كأن يقول أحد الفريقين للآخر: يا كافر؛ فيكفر أحدهما. قال: ثم وجدت تاسعها: وهو أن المراد ستر الحق، والكفر لغة الستر؛ لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه، وعاشرًا وهو أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر؛ لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى ما هو أشد منها فيخشى ألا يختم له بخاتمة الإسلام.

وقوله ﷺ: «ألا ليبلغ الشاهد الغائب»: فيه وجوب تبليغ العلم؛ لأنه أتى بصيغة الأمر (لام الأمر دخلت على المضارع فجعلت معناه الأمر)، وتبليغ العلم فرض كفاية على الأمة، فيجب تبليغه بحيث ينتشر ولا سيما العلم النافع وهو ما يتعلق بعلم الشريعة والمقصود العلم بالدين الإسلامي عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاقًا وسلوكًا وأحكامًا، إلى غير ذلك، فإذا أطلق العلم في الكتاب أو في السنة فالمراد به العلم بالدين الإسلامي.

وقوله ﷺ: «فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» أي: لا يقتصر تبليغ العلم على الفقهاء الفاهمين لما يبلغونه للناس، فإن مرحلة الحفظ لنصوص الكتاب والسنة تأتي أولاً، ولقد درج المسلمون منذ العصور الأولى للإسلام على تحفيظ الصغار كتاب الله تعالى وهم في مقتبل أعمارهم فنجد أن منهم من حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين أو ثماني سنين، أو أكثر أو أقل، ثم يثني بعد ذلك بحفظ أحاديث المصطفى ﷺ، ثم بحفظ متون العلوم المختلفة، كل ذلك قبل أن يشرع في دراسة الشروح والتفاسير المختلفة، فهذا وعاء علم يحفظ لنفسه ويؤدي لغيره، فإن فقه هو ما حفظ- وهذا هو الغالب- كان من الفقهاء ومن جملة العلماء، وإلا كان أقل أحواله أن يكون مبلغًا وراويًا ما حفظه لغيره ممن هو من أهل الفقه في الدين، ولقد كان الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل كل منهما يأخذ عن الآخر، فالشافعي يأخذ الحديث عن أحمد، وأحمد يأخذ الفقه عن الشافعي، رحم الله علماء الأمة وأئمتها، قال النووي رحمه الله: احتج به (أي بقوله ﷺ فلعل بعض من يبلغه إلخ) العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه إذا ضبط ما يحدث به.

قوله ﷺ: «ألا هل بلغت...» إلخ، فيه تقريره ﷺ أصحابه وسامعيه على أنه بلغ ما أرسل به من ربه إلى الناس، كما أن فيه إشهاد الله عز وجل على ذلك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

باب: منبر الحرمين

حال المسلمين مع الصلاة

لفضيلة الشيخ / صالح آل طالب
إمام وخطيب المسجد الحرام

موقع منبر الحرمين على الإنترنت
WWW.alminbar.net

أيّها

أيّها المسلمون، اتقوا الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. اتَّقوا اللهَ وأطيعوه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا، فإنّه أهوَن عليكم في الحِساب غدًا، واستعدّوا للعَرض الأكبر على الله، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. ادّخرِ راحتَك لقبرك، وقلّل مِن لهوك ونومِك، فإنّ وراءك نومةً صبحُها يومُ القيامة.

وبعد: عبادَ الله، قبلَ بعثة النبيّ كانت هذه الأمّة في مؤخِّرة ركب الأمم في العبادةِ والتديُّن والقوّة والظهور والأخذِ بأسباب الدنيا والسَّبق فيها، حتّى أكرمها الله تعالى ببعثةِ سيِّد البشَر محمّد، فما هي إلاّ سنواتٌ قليلة حتّى فاقت أممَ الأرض قاطبةً في جميع المجالات، فبالحقِّ سادت، ثمّ بالخير جادَت.

إنّ سرد جوانب الضعف وظواهره يوهن ويحزن

حال الأمة الحاضر وواقعها المؤلم سببه التقصير

اتقوا الله أيها المسلمون،

ولا زالت حضارتُها وسُلطانها في مدٍّ وجَزر حتى وقتِنا الحاضرِ وزمانِنا المتأخّر، والذي يُشكَى حالُ الأمّة فيه إلى الله، حيث تسلّط الأعداء، فاحتلّوا بعضَ ديارها، وانتقَصوا مِن أطرافها، وانتهَبوا خيراتِها، وغزَوا المسلمين في دينهم وفي فكرهم، مع فُرقةٍ في المسلمين وشتاتٍ في الرّأي واختلافٍ زادَ في تمكينِ الأعداء عليهم.

وإنّ سردَ جوانبِ الضّعف وظواهره يوهن ويُحزن إلاّ أنّه لا بدّ من كشفِ الجرح لعلاجه. ومنذ سنينَ عِدّة والمنتسبون لأمّة الإسلام يتنافسون في كشفِ الدّاء وتوصيفِ الدّواء، فمِن ناسبٍ ضعفَ المسلمين إلى أسبابٍ ماديّة أو أسبابٍ حضاريّة وفكريّة أو غير ذلك، الجميعُ ينظرون ويجتهدون، وكلّ حزبٍ بما لديهم فرحون. بل وصَل الحال ببعض بني المسلمين إلى اتّهام الإسلام نفسِه أو بعض شرائعه، إلاّ أنّ المتأمّلَ في تاريخ الأمّة الإسلاميّة منذ نشأتها والمتبصّر في منهاجها ودستورها يعلَم داءَها ودواءَها وسقمَها وشِفاءها، يَعلَم علمَ اليقين أسبابَ الضّعف المُهين، كما يعلَم أسبابَ النّصر والتّمكين.

إنّ استمدادَ ذلك العِلم ليس من البشر، بل من خالق البشَر سبحانه حكم بقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، والذي قال جلّ شأنه: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. كما أنّ الناظرَ أيضًا يعلم أنّ رياحَ التغيير لا تهبّ من فَراغ، وأنّ الإصلاحَ يبدأ مِن النّفس، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: ١١]، كما يعلَم أنّ الهدايةَ تأتي بعد المجاهدة، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إذًا حالُ الأمّة الحاضر وواقعُها المؤلم سببُه التقصيرُ في الأخذِ بأسباب النصر الحقيقيّة التي لا نصرَ بدونها، فنحن قومٌ أعزّنا الله بالإسلام، مهما ابتغَينا العزّةَ بغيره أذلّنا الله؛ لذا لا بدّ من المحاسبة على هذا المنهاج، يجب أن يتفقّد المسلمون حالَهم مع دينهم وعلاقتَهم بربِّهم.

أيّها المسلمون، أيّها القاصدون بيتَ الله المعظّم، وهذه وقفةُ محاسبة مع أعظم عُنوانٍ للصلّة بالله، وأهمّ ركن بعد شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، ألا وهو الصلاة.

الصّلاة- أيّها المؤمنون- ركنُ الدين ومعراجُ المتّقين وفريضة الله على المسلمين، لا دينَ لمَن لا صلاةَ له، ولا حظَّ في الإسلام لمَن ترك الصّلاة، مَن ترك صلاةً مكتوبة متعمّدًا مِن غيرِ عُذر برِئت منه ذمّة الله. كان أصحاب النبيّ لا يرَون شيئًا مِن الأعمال تركُه كُفر غير الصّلاة، وفي صحيح مسلم أنّ النبيّ قال: «ليس بينَ الرّجل والكفرِ- أوالشرك- إلاّ ترك الصّلاة»، بل جعل الله الصلاةَ عنوانَ الإسلام فقال: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى [العلق: ٩، ١٠].

كلُّ الفرائض أنزلها الله تعالى على رسولِه إلاّ الصلاة، فإنّه سبحانه أصعدَ إليها رسولَه، فعرج بنبيِّه إلى السّماء السّابعة، فأكرمَه حتّى رضي، ثمّ فرض عليه الصلواتِ الخمس، لذا كانت أكثرَ الفرائض ذِكرًا في القرآن، بل كانت وصيّةَ رسول الله عندَ فِراق الدّنيا وهو يغالِب سكرات الموت، تخرج روحُه الشريفة وهو مشفِق على أمّته، يجود بنفسِه وينادي: «الصلاةَ الصلاةَ وما ملكت أيمانُكم»، وكانت همَّه وهو في الرّمَق الأخيرِ يسأل: «هل صلّى الناس؟ مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس».

هي عنوانُ الفلاحِ وطريق النجاح، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ [المؤمنون: ١، ٢] إلى أن قال في آخر نعتِهم: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: ٩، ١١].

الصلاة واجبةٌ على المسلم في كلّ حال، لا تسقط بمرضٍ ولا خوف، بل حتّى عند العجز عن شروطِها وأركانِها ما دامَ العقل موجودًا، وحتّى في حالاتِ الفزَع والقتال، حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ

إلا أنه لا بدَّ من كشف الجرح لعلاجه

في الأخذ بأسباب النصر الحقيقية التي لا نصر بدونها

وائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر وتواصوا بالصلاة

فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]، وصلاةُ الخوف مذكورةٌ صفتُها في سورة النّساء، على أيِّ حالٍ لا بدّ أن يصليَ المسلم، مستقبلَ القبلة فإن لم يستطع صلّى لأيّ جهة، قائمًا فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وإلاّ فعلى أيّ حال، وإن عجز عن طهارةٍ أو ستر عورة أو غير ذلك صلّى على أيّ حال، نَعَم على أيّ حال لأنّها الصلاة التي هي أوّل ما يُسأل عنه العبدُ يومَ القيامة، فإن صلحت صلح سائرُ العمل، وإن فسَدت فسَد سائرُ العمل، كما صحّ بذلك الخبرُ عن المعصوم، فلا يقبَل اللهُ عبادةً دونها.

أيّها المسلمون، خمسُ صلواتٍ مفروضة في كلّ يوم: الفجر والظّهر والعصرُ والمغرب والعِشاء، كفّارة لما بينها، فتطهِّر القلوبَ من درن الذنوب، بل تمنعُها ابتداءً، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت: ٤٥]. وإذا ما ضايقَتك سيّئاتك يومًا وأثقلت كاهلَك الخطايا فابتدِرِ الصلاةَ واسمَع قول الإله: وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ [هود: ١١٤]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتُم لو أنّ نهرًا بباب أحدِكم يغتسِل منه كلَّ يومٍ خمسَ مرّات، هل يبقى من درنِه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنِه شيء، قال: «فذلك مثَل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنّ الخطايا».

والصلاةُ بابٌ للرزق، وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه: ١٣٢]، هي المفزَع عند الجزَع، وإليها الهرَب عند الهلَع، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ١٥٣]؛ لذا كانت قرّة عين النبيِّ، فإذا حَزَبه أمرٌ فزع إلى الصّلاة، ونادى: «أرحنا بها يا بلال»، وأجاب حين سُئل: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتِها» متفق عليه.

وبعدَ هذا فكيف ترجو أمّة نصرَ ربِّها إذا ضيَّعت صِلَتها به وعجزت عن القيام بفَرضه؟! إنّ الذين يفرِّطون في هذه الصّلوات لا يستحقّون إكرامًا ونَصرًا من الخالق ولا من المخلوقين. إنّ الصلاةَ أوّل شروط النصر والتمكين، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج: ٤١]، فكيف يُنصَر المسلمُ أو يُوفَّق إذا ترك الصلاةَ وقد جُعِل تركها سببَ دخول النار؟! ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]، وفي وصفِ الوجوهِ الباسرة: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٦]، ومع كلِّ هذا فإنّك لتأسَى وتحزَن إذا علمتَ أنّ فئامًا من المسلمين تركوا الصّلاة أو تهاونوا فيها.

فاتقوا الله أيّها المسلمون، وائتمِروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، وتواصَوا بالصلاة، وليكن شعار المربّين والدعاة أمر الله لنبيِّه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وقد امتدح الله إسماعيلَ عليه السلام بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ﴾ [مريم: ٥٥]، وفي الحديث الصحيح على شرطِ مسلم أن النبيَّ قال: «مُروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر»[١٠]، وأمرُ الناسِ بها وكذا أمرُ الأهل والأولاد مِن المحافظة عليها.

أيّها المسلمون، وثمّةَ صنفٌ مِن الناس رخصَت عندهم الصلاةُ، فهي آخرُ أشغالِهم ونهايةُ أعمالِهم وفي نهايةِ اهتمامِهم، فيجمَعون الصلواتِ بلا عُذر، ويؤخِّرونها عن وقتِها، وعليهم ينطبق قول الله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]، وفيهم نزل قولُ الحقّ سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] أي: لاهون يؤخِّرونها عن وقتها، ألم يسمعوا قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]؟! أي:

مؤقّتًا؛ معلوم البدايةِ والنهاية، لا تصحّ قبلَ الوقت كما لا تصحّ بعدَه إلاّ مِن عُذر.

فاتّقوا الله، وحافظوا على الصلواتِ في أوقاتها، وليعلَم الرّجال أنّها واجبة عليهم في جماعةِ المسلمين في المساجِد، ولو وسع أحدًا تركُ الجماعة لوسَّع النبيُّ الرحيمُ بأمّته [على] ذلك الشيخ الضرير الذي يفصِل بينَه وبين المسجد وادٍ كثيرَ السّباع والهوامّ وليس له قائد يقوده، فاستأذن النبيَّ للصلاة في بيته فلم يأذن له[11]، فكيف بمن أفاء الله عليه ويسَّر له؟! وإلا فلِم المساجد شيِّدت والمآذن رُفعت والجماعات أقيمَت؟! أللجمعةِ فقط؟! أللجمعة فقط؟! لا حولَ ولا قوّة إلا بالله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سرَّه أن يلقى اللهَ غدًا مسلمًا فليحافِظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادَى بهنّ، فإنّ الله شرَع لنبيكم سننَ الهدى، وإنّهن مِن سُنَن الهدى، ولو أنّكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيتِه لتركتُم سنّةَ نبيّكم، ولو تركتم سنّةَ نبيكم لضللتم، ولقد رأيتُنا وما يتخلّف عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادَى بين الرجلين حتى يقام في الصف) رواه مسلم.

أيّها المسلم، يا عبد الله، ها قد سمعتَ الذكرى، وقد عرفتَ فالزم، فالزم طريقَ الهدى.

وفّقني الله وإيّاك لمراضيه، وجعل مستقبلَ حالنا خيرًا من ماضيه.

أيّها المسلمون، فمَن أرد الحِرز والحِفظ والتوفيقَ والأمن فليحافِظ على الصلاة، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من صلّى الصبحَ في جماعة فهو في ذمَّة الله» رواه مسلم.

كما أنّ الصلاة فريضةٌ مشترَكة بين النبيِّين، فكلُّهم أُمِروا بها، قال الله سبحانه عن إبراهيم ولوطٍ ويعقوبَ وإسماعيل عليهم السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وهي دعوةُ أبينا إبراهيم حينَ دعا ربَّه بقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًا﴾ [مريم: ٣١]، وفي كلام الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، ولنبيّنا محمّد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقال سبحانه عن عبادِه الصالحين المصلحين: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

فهل تجِدون بعدَ هذا- أيّها المؤمنون- عبادةً حظِيت بمنزلةٍ فوق الصلاة؟! أم هل يجِد المفرِّطون والمتهاونون عُذرًا بعدَ هذا البلاغ؟!

عبادَ الله، ويرتبط بالحديث عن الصّلاة إشارة ضروريّةٌ إلى روحها ولُبِّها، ألا وهو إتمامها والخشوع فيها. فمِن إتمامها العنايةُ بشرائطها ووضوئها والطّمأنينة فيها وعدَم مسابقة الإمام واتّباعُ السنّة في أدائها كما قال المصطفى في الحديث الذي رواه البخاري: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

والخشوعُ- أيّها المصلّون- انكسارُ القلبِ بين يدَي الله تعالى وامتلاؤُه مهابةً له وتوقيرًا وسكونُ الخواطر الدنيويّة واستحضارُ عظمةِ الباري سبحانه والاشتغالُ بالكليّة بالصّلاة مع الوقارِ والسكينة، عند ذلك تسكُن الجوارح ويُطرِق البصر.

عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبةٌ فيحسِن وضوءها وخشوعَها وركوعها إلا كانت كفّارةً لما قبلها من الذّنوب ما لم تُؤتَ كبيرة، وذلك الدّهرَ كلّه» رواه مسلم، والله تعالى قال: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وكم من مصلٍّ لم يشرَب خمرًا هو في صلاتِه لا يعلم ما يقول، قد أسكرَته الدنيا بهمومِها.

فاتّقوا الله أيّها المسلمون، وحافظوا على عهدِ الله إليكم، وتأهّبوا فالحسابُ بين يدَيكم.

والحمد لله رب العالمين

الأدب مع الله في كتاب الله

إعداد

أحمد بن عبد الرحمن الشنواني

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

منزلة «الأدب» من أعظم المنازل، وأكملها، وأجمعها، إذ أن «الأدب» هو اجتماع خصال الخير في العبد؛ لأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، واستعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً.

والأدب مع الله تعالى أصل كل أدب، بل لا يتصف أحد بأدب إن عُدِمَ «الأدب مع الله».

والأدب مع الله هو حسن الانقياد معه بإيقاع كل حركة على مقتضى تعظيمه وإجلاله، والحياء منه، وهذا يشمل: القلب، واللسان، والأركان.

وأدب القلب هو الأصل والأساس لغيره، فمقتضاه أن يتوجَّه إلى الله وحده: محبةً، وخوفًا، ورجاءً وتوكلاً واستعانة. إلى غير ذلك، وفي المقابل: فإن أعظم الإساءة أن يلتفت إلى غيره، أو يقصد سواه، وهو المتفرد بالخلق، والرزق والملك والتدبير وبيده وحده النفع والضر، وإليه وحده مرجع الأمر، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾، وقال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ومن مقتضيات الأدب أيضًا: صيانة العبد إرادته أن تتعلق بغير الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

وأما أدب اللسان فمقتضاه: أن لا يقول إلا ما فيه تعظيمُ إلهه ومولاه، وأن لا ينطق إلا بما يحبه ويرضاه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾، ومن ذلك: ذكره، وتلاوة كتابه، والتسبيح بآلائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.

وفي المقابل فإن أعظم إساءة: الاستهزاء بآيات الله خوضًا ولعبًا، وسب الله العظيم، وسب آياته وشريعته، وهذا هو أعظم الجرم، وهو الكفر البواح، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

ومن سوء الأدب الذي عَمَّ في هذه الأزمان خاصة، التغني بالقرآن وأسماء الرحيم الرحمن على ألحان الزور والغناء، وبألسنة الفجار ممن لا يعظمون لله حرمة، ولا يرجون لله وقارًا، نعوذ بالله من الخذلان، وأما أدب الجوارح، فمقتضاه صيانتها عن القبائح، وقيامها بالمحامد، وتقديمُها أمر الله على أمر سواه، وتعظيمها شعائر الله وحرماته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن أعظم مظاهر سوء الأدب مع الله في الأفعال: المجاهرة بالعصيان، ومحاربة الرحمن، ورد أمر الله اتباعًا لأمر الهوى والشيطان، ومن ذلك: سماع الكذب، وأكل السحت، وهذا من أخبث صفات اليهود، قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾، ومنه: فعل الفواحش والمحرمات، واقتراف الآثام والسيئات، نسأل الله تعالى أن يقيمنا على الأدب، وبالأدب.

والحمد لله رب العالمين

اتبعوا ولا تبتدعوا

هل في الإسلام

الحلقة الخامسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فقد عرضت للمبتدعة شبهات كثيرة استدلوا بها على تحسين بدعهم، منها أدلة صحيحة ليس فيها دلالة على ما ذهبوا إليه لكنها نشأت من الفهم الخاطئ بسبب تحريف الأدلة عن مواضعها ومنها أدلة باطلة وبطلانها يغني عن ردها.

وفي هذا المقال نعرض للشبهات وندحضها ونبين زيفها فنقول مستعينين بالله عز وجل.

أولا: القول بأن البدعة الشرعية تنقسم إلى حسنة وسيئة هو قول محدث ومبتدع وذلك للأسباب الآتية:

١- أن أدلة ذم البدعة جاءت مطلقة عامة وعلى كثرتها لم يقع فيها استثناءٌ البته، ولم يأت فيها ما يقتضي أن منها ما هو حسن مقبول عند الله ولا جاء فيها: كل بدعة ضلالة إلا كذا وكذا ولا شيء من هذه المعاني ولو كانت هنالك محدثات يقتضي النظر الشرعي فيها أنها حسنة أو مشروعة لذكر ذلك في نصوص الكتاب والسنة ولكنه لا يوجد ما يدل على ذلك فدل على أن تلك الأدلة بأسرها على حقيقة ظاهرها من الكلية والعموم الذي لا يتخلف عن مقتضاه فرد من الأفراد [الاعتصام للشاطبي]

٢- أنه قد ثبت في الأصول العلمية أن كل قاعدة كلية أو دليل شرعي كلي إذا تكررت في أوقات شتى وأحوال مختلفة ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها العام المطلق وأحاديث ذم البدع والتحذير منها من هذا القبيل.

فقد كان النبي ﷺ يردد من فوق المنبر على ملأ من المسلمين في أوقات كثيرة وأحوال مختلفة أن: «كل بدعة ضلالة».

ولم يرد في آية ولا حديث ما يقيد أو يخصص هذا اللفظ المطلق العام، بل ولم يأت ما يفهم منه خلاف ظاهر هذه القاعدة الكلية وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه القاعدة علي عمومها وإطلاقها.

[انظر الاعتصام للشاطبي]

٣- عند النظر في أقوال وأحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم نجد أنهم مجمعون على ذم البدع وتقبيحها والتنفير عنها ولم يرد عنهم في ذلك توقف ولا استثناء فهو - بحسب الاستقراء - إجماع ثابت يدل دلالة واضحة على أن البدع كلها سيئة لا يوجد فيها شيء حسن.

٤- القول بالبدعة الحسنة يفسد الدين ويفتح المجال للمتلاعبين فيأتي كل من يريد بما يريد تحت ستار البدعة الحسنة، وتتحكم حينئذٍ أهواء الناس وعقولهم وأذواقهم في شرع الله وكفى بذلك إثمًا وضلالا مبينًا.

٥- عند النظر في بعض المحدثات التي يسميها أصحابها بدعًا حسنة نجد أنها قد جلبت على المسلمين المفاسد العظيمة كما في بدعة

بدعة حسنة!؟

بقلم/ **معاوية محمد هيكل**

المولد وما يترتب عليها من فسوق وعصيان باختلاط الرجال والنساء والرقص والغناء.

وكما في بدعة البناء على القبور وما يترتب عليها من شرك بالتوسل والاستغاثة والدعاء ومن أكلٍ لأموال الناس بالباطل ومن التطاول والتفاخر بالبناء على هذه الأضرحة وغير ذلك وهذا المذكور هنا إنما هو بمجرد التمثيل على أن البدع التي يطلق عليها أصحابها حسنة هي عين القبح والضلال والفساد، وإلا فلو استعرضت سائر البدع العلمية والعملية لوجدتها من هذا القبيل فسبحان من جعل التمسك بالكتاب والسنة عصمة وجعل الافتئات عليهما ضلالة.

٦ - يقال لمعتقدٍ حُسْنَ بعض البدع: إذا جوَّزت الزيادة في دين الله باسم البدعة الحسنة جاز أن يستحسن مستحسن حذف شيء من الدين بإسم البدعة الحسنة أيضًا ولا فرق بين البابين لأن الابتداع يكون بالزيادة والنقصان والاستحسان الذي تراه يكون كذلك بالزيادة والنقصان وكفى بهذا قبحًا وذمًا وضلالا.

٧ - أن القول بالبدعة الحسنة يؤدي إلى تحريف الدين وإفساده، إذ كلما جاء قوم زاد في الدين عبادة وسموها: بدعة حسنة، فتكثر البدع، وتزيد على العبادات الشرعية، فيتغير الدين ويفسد كما فسدت الأديان السابقة، فيجب إغلاق باب الابتداع كله حماية للدين من التحريف والانتحال.

[انظر تحذير المسلمين عن الابتداع لابن حجر البوطامي]

٨ - من علم أن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق بالحق، وأفصح الخلق في البيان والنطق، وأنصح الخلق للخلق، علم أنه قد اجتمع في حقه ﷺ الكمالات كلها: كمال العلم بالحق وكمال القدرة على بيانه، وكمال الإرادة له، ومع كمال العلم والقدرة والإرادة يجب وجود المطلوب على أكمل وجه؛ فيعلم أن كلامه ﷺ أبلغ ما يكون؛ وأتم ما يكون، وأعظم ما يكون بيانًا لأمور الدين. [مجموع الفتاوى ١٧/١٢٩]

٩ - يقال لِمُحَسِّن البدع: إذا كان في الشريعة - بحسب زعمك - بدعة حسنة فإننا نبتدع ترك البدعة الحسنة ونرى عدم جوازها وعدم العمل بها لأن ذلك هو الأنفع لعاجلتنا وآجلتنا وأجمع لكلمتنا وأبعد عن الفرقة والخلاف.

فإن كان قولنا هذا صحيحًا وعليه برهان فلا تجوز مخالفته وإن لم يكن عليه برهان فهو بدعة حسنة وهو معمول بها عندكم فالبدعة على جميع الفروض باطلة وهو ما نريد.

ثانيا: الأدلة الصحيحة التي استدل بها المبتدعة على تحسين بدعهم ومناقشتها.

١ - استدلالهم بحديث رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة - وأن سن بمعنى اخترع وابتدع - على وجود البدعة الحسنة شرعًا.

فالجواب: أنه ليس المراد بالاستنان هنا الاختراع وإنما المراد به العمل بما ثبت في السنة النبوية أو إحياء أمرٌ مشروع غفل عنه الناس أو تركوه وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول:

أن سبب ورود الحديث يفسر المراد بذلك وهو الحث على الصدقة المشروعة ففي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاء قومٌ مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام

فصلى ثم خطب فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... ﴾ الآية [النساء:١]، والآية التي في الحشر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ... ﴾ [الحشر:١٨].

تصدق رجلٌ من ديناره، من درهمه من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بشق تمره» قال: فجاء رجل من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها بعدهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

فسياق الحديث يدحض تفسيره الذي شاع عند المبتدعين: «من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة...» فخصصوا عموم قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» ويدل على فساد تصورهم وتفسيرهم أن كل ما فعله الصحابي رضي الله عنه أنه أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة وتتابع الناس بعده فكان فاتحة الخير في هذا الإحسان، وإذا نظرنا إلى ما فعله هذا الصحابي رضي الله عنه نجد أنه لم يخترع شيئًا جديدًا وأن الصدقة أمر مشروع.

بل كان له الفضل في تنبيه الصحابة وتشجيعهم - بفعله - على الصدقة وعلى ذلك فالمراد بالسنة الحسنة في الحديث: هو العمل بالسنة خاصةً إذا غفل عنها الناس أو تركوها.

الوجه الثاني:

أن قوله: «من سن سنة حسنة... ومن سن سنة سيئة» لا يمكن حمله على الاختراع من أصل لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع لأن التحسين والتقبيح مختص بالشرع لا مدخل للعقل فيه وهو مذهب أهل السنة فلزم أن تكون «السنة» في الحديث: إما حسنة في الشرع وإما قبيحة بالشرع فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة وما أشبهها من السنن المشروعة وتبقى السنة السيئة منزلة على المعاصي التي ثبت بالشرع كونها معاصي، كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم حيث قال عليه الصلاة والسلام: «... لأنه أول من سن القتل» وعلى البدع لأنه قد ثبت ذمها والنهي عنها بالشرع.

وعليه، فالسنة الحسنة هي: إحياءُ أمر مشروع لم يعهد العمل به بين الناس لتركهم السنن ففي عصرنا لو أن إنسانًا أحيا سنة مهجورة يقال: أتى بسنة حسنة ولا يقال: أتى ببدعة حسنة.

إذن فالسنة الحسنة هي ما كان أصله مشروعًا بنص صحيح وترك الناس العمل بها ثم جاء من يجددها بين الناس مثال ذلك إحياء سنة صلاة العيدين في المصلى فقد كان الناس من قبل يصلونها في المساجد ظنًا منهم أنها السنة فجاء أهل السنة فنبهوا على هذه السنة المباركة. [البدعة وآثارها السيئ في الأمة / الهلالي]

الوجه الثالث:

١ - أن القائل: «من سن في الإسلام سنة حسنة»، هو القائل: «كل بدعة ضلالة»، ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق ﷺ قول يكذب له قولا آخر، ولا يمكن أن يتناقص كلام رسول الله ﷺ أبدًا.

وعليه: فإنه لا يجوز لنا أن نأخذ بحديث، ونعرض عن الحديث الآخر، فإن هذه حال من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

٢ - أن النبي ﷺ قال: «من سن»، ولم يقل: «من ابتدع»، وقال: «في الإسلام»، والبدع ليست من الإسلام، وقال: «حسنة»، والبدعة ليست بحسنة.

٣ - لم ينقل عن أحد من السلف أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التي يحدثها الناس من عند أنفسهم؛ فَبَطَلَ ما احتج به أهل البدع على تحسين بدعهم.

والله من وراء القصد.

أفضل أيام الدنيا

إعداد

سعد بن عتيق العتيق

*إنها العشر التي أقسم الله بها في كتابه ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١،٢] إنها الأيام المعلومات التي شرع الله فيها ذكره ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج:٢٨]، إنها أفضل أيام الدنيا. يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر» صححه الألباني.*

فما من أيام يحب الله العمل الصالح فيها أكثر من هذه الأيام. يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري.

إنها العشر التي بها يوم عرفة، ذاك اليوم الذي يدنو الله فيه ثم يباهي بأهل الموقف ملائكة السماء، فما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة. صيامه لغير الحاج يكفر سنتين السنة الماضية والقابلة.

إنها العشر التي جمع الله فيها أمهات العبادات كلها فما من عبادة في الإسلام إلا ولها مكان في هذه العشر. إنها الموسم الأخير في هذا العام. العمل الصالح فيها محبوب إلى الملك الديان. أفلا تحب أيها العبد ما أحبه مولاك؟

تذكر... أن بلوغ هذه العشر بعد رمضان نعمة عظيمة.. فكم نفس أدركت رمضان لم تدرك العيد بعده. وكم نفس أدركت عيد الفطر لم تدرك عشر ذي الحجة والعيد بعدها. فاحمد الله على نعمة بلوغ هذا الموسم من مواسم الجنة.

تذكر... أن هذه العشر هي العزاء لمن فرّط في رمضان. فها هو مولاك جل وعلا يمهلك ويمد في عمرك.. فماذا أنت فاعل؟!

تذكر... كم مرت عليك في أوائل الشهور من عشر لم يكن لها مزية. أما هذه العشر فقد ميزها خالقها وجعلها خير أيام العام. فانتهز الفرصة فإنها عشر قد لا تعود. ثم تذكر... أن هذه العشر في شهر ذي الحجة وهو آخر شهور العام، فعما قليل ستطوى صحائفه.

فاختم عامك أيها المسلم بخير فإن العبرة بالخواتيم.

تذكر... أنك في موسم فاق العمل الصالح فيه - حبًا من الله - الجهاد في سبيل الله مع أن الجهاد ذروة سنام الدين، فالمحروم من ضيع الفرصة والتي قد لا تعود.

أنواع العمل الصالح في هذه العشر

أولا: التوبة النصوح

وذلك بالإقلاع عن الذنوب والمعاصي والندم على ما مضى والعزم على ألا يعود وأن تكون خالصة لله.

ثانيا: الحرص على أداء الصلاة جماعة

وأن تحرص على إدراك تكبيرة الإحرام وأداء

السنن الرواتب والنوافل المطلقة وأن تعود إلى قيام الليل يا من تركته بعد رمضان وليعلم المسلم أن أفضل ما انشغل به مسلم أن يقف بين يدي الله مصليا.

ثالثا: أداء الحج والعمرة

وليتذكر المسلم أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأن جائزة أهل عرفات أن يقال لهم انصرفوا مغفورا لكم. وأنت يا من تركت الحج مع استطاعتك خوفًا من الزحام والحر ..

تذكر زحام المحشر وحر جهنم. ثم تذكر أن الحج باب لنفي الفقر والذنوب.. والبخيل من بخل على نفسه.

رابعًا: صيام تسعة أيام من هذه العشر أو ما تيسر وخاصة يوم عرفة

يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده».

وتذكر أن من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا» وقد نقل بعض أزواجه عليه الصلاة والسلام أنه كان يصوم تسع ذي الحجة..» الحديث رواه الإمام أحمد والنسائي وصححه الألباني.

فصوم هذه الأيام مستحب فاحرص على هذه القربة.

خامسًا: التكبير والذكر في كل وقت

فهو شعار أهل الإيمان في هذه الأيام ولا يمنعك الخجل أيها المسلم من الجهر بالتكبير فقد كان أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ومنهم ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى الأسواق لا لحاجة الشراء وإنما لإحياء هذه السنة وهي التكبير وصفته أن تقول:

«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

سادسًا: الصدقة والإحسان إلى الخلق

وتذكر أخي أنك بهذا تحسن إلى نفسك قبل إحسانك إلى المحتاجين تصدق في كل يوم من هذه الأيام ولو بالقليل أو اليسير عسى أن ترفع إلى السماء من المنفقين.. «اللهم اعط منفقًا خلفا».

واعلم أن الله يقبل الصدقة ولو كانت تمرة واحدة أو شق تمرة وتمعن في قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه «من تصدق بعدل تمرةٍ من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا فإن الله يقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل العظيم «فكم ضاع عليك في مواسم الخير من تمرة ومن فرصة.

سابعا: الأضحية

فإن أحب الأعمال إلى الله يوم النحر «العاشر من ذي الحجة» إهراق الدم. فإن للمضحي بكل شعرة حسنة، فطب بها نفسًا. وأحذر من البخل بها، واعلم أنها سنة مؤكدة، مشروعة في حق الأحياء يكره لمن وجد سعة أن يبخل بها.

ومن أراد الأضحية فليمسك عن شعره وظفره وبشرته أيام العشر وهذا الحكم خاص بالمضحي فقط أمّا المضحى عنهم فلا يلزمهم الإمساك. واعلم أن من أخذ شيئًا من ذلك متعمدًا فإن ذلك لا يمنعه من الأضحية وعليه التوبة.

ثامنًا: الاستزادة من الأعمال الصالحة

فاحرص أخي المسلم على إدراك تكبيرة الإحرام، وعلى السنن الراتبة وعلى تلاوة القرآن، حاول أن تختمه في هذه العشر. احرص على قيام الليل وعلى البر وصلة الأرحام ولا تتهاون في أداء صلاة العيد فإنها من إقامة ذكر الله.

وتذكر.. أن الأجور في هذا الموسم تتضاعف، فاجعلها نقطة الانطلاق إلى رحاب الإيمان وميادين المسابقة في الخيرات.

واحذر أخي المؤمن أن تهدم ما بنيته من عمل صالح بختام هذه العشر واحذر أن تجعل أيام العيد أيام أشر وبطر وانتهاك لحرمات الله، أعاننا الله وإياك على استغلال هذا الموسم.

وبلغنا الله وإياك مواسم الخير دائمًا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

نزول القرآن منجما «مفرقا»

بقلم
مصطفى البصراتي

يقول تعالى في التنزيل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

ويقول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ويقول: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]، ويقول: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى سماء الدنيا، فالمراد به نزوله منجمًا «مفرقًا»، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقًا، والإنزال أعم. وقد نزل القرآن منجمًا في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرقًا في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي جعلنا نزوله مفرقًا كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث.

أما الكتب السماوية الأخرى- كالتوراة والإنجيل والزبور- فكان نزولها جملة ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة، وهو ما عليه جمهور العلماء، ولو كان نزولها مفرقًا لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجمًا، فمعنى قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هلا أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب؟ وما له أنزل على التنجيم؟ ولم أنزل مفرقًا؟ ولم يرد الله عليهم بأن هذه سنته في إنزال الكتب السماوية كلها كما رد عليهم في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وكما رد عليهم في قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، بل أجابهم الله تعالى ببيان وجه الحكمة من تنزيل القرآن منجمًا بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: كذلك أنزل مفرقًا لحكمة تقوية قلب رسول الله، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: قدرناه آية بعد آية بعضه إثر بعض، أو بيناه تبيينًا، فإن إنزاله مفرقًا حسب الحوادث أقرب إلى الحفظ والفهم وذلك من أعظم أسباب التثبت.

والذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات في أول المؤمنين جملة، وصح نزول «غير أولي الضرر» وحدها

وهي بعض آية.

الحكمة من نزول القرآن منجمًا

الحكمة الأولى: تثبيت قلب النبي ﷺ:

لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس، فوجد منهم نفورًا وقسوة، وتصدى له قوم غلاظ الأكباد فُطروا على الجفوة، وجبلوا على العناد، يتعرضون له بصنوف الأذى والعنت مع رغبته الصادقة في إبلاغهم الخير الذي يحمله إليهم، حتى قال الله فيه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

فكان الوحي يتنزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة، بما يثبت قلبه على الحق، ويشحذ عزمه للمضي قدمًا في طريق دعوته، لا يبالي بظلمات الجهالة التي يواجهها من قومه.

يبين الله له سنته في الأنبياء السابقين الذين كذبوا وأوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله وأن قومه لم يكذبوه إلا علوًا واستكبارًا، فيجد عليه الصلاة والسلام في ذلك السنة الإلهية في موكب النبوة عبر التاريخ التي يتأسى بها تسلية له إزاء أذى قومه، وتكذيبهم إياه، وإعراضهم عنه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٣، ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ويأمره القرآن بالصبر كما صبر الرسل من قبله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ويطمئن نفسه بما تكفل الله به من كفايته أمر المكذبين، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ [المزمل: ١٠- ١١]، وهذا هو ما جاء في حكمة قصص الأنبياء بالقرآن: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكلما اشتد ألم رسول الله ﷺ لتكذيب قومه، وداخله الحزن لأذاهم نزل القرآن دعمًا وتسلية له، يهدد المكذبين بأن الله يعلم أحوالهم، وسيجازيهم على ما كان منهم: ﴿فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، ﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]، كما يبشره الله تعالى بآيات المنعة والغلبة والنصر: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وهكذا كانت آيات القرآن تتنزل على رسول الله ﷺ تباعًا تسلية له بعد تسلية وعزاء بعد عزاء، حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه ولا يستبد به الأسى، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً، فله في قصص الأنبياء أسوة، وفي مصير المكذبين سلوى، وفي العِدَة بالنصر بشرى، وكلما عرض له شيء من الحزن بمقتضى الطبع البشري تكررت التسلية فثبت قلبه على دعوته، وأطمأن إلى النصر.

وهذه الحكمة هي التي رد الله بها على اعتراض الكفار في تنجيم القرآن بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

قال أبو شامة: «فإن قيل: ما السِّرُّ في نزله منجمًا؟ وهلا أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: «كذلك» أي أنزلناه مفرقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي لنقوىَ به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل».

الحكمة الثانية: التحدي والإعجاز:

فالمشركون تمادوا في غيهم، وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحدٍ يمتحنون بها رسول اللَّه ﷺ في نبوته ويسوقون له من ذلك كل عجيب من باطلهم، كعلم الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، واستعجال العذاب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]، فيتنزل القرآن بما يبين وجه الحق لهم، وبما هو أوضح معنى في مؤدى أسئلتهم كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي: ولا يأتونك بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة إلا أتيناك نحن بالجواب الحق، وبما هو أحسن معنى من تلك الأسئلة التي هي مثل في البطلان.

الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها:

فكلما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصّل لهم الله من أحكامه ما يوافقه، وتشتمل هذه الحكمة على أمور أربعة:

أولها: إجابة السائلين عن أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول ﷺ سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبت من رسالته كما قال تعالى في جواب سؤال أعدائه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، أم كانت لغرض التنور ومعرفة حكم الله كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة:

٢١٩].

ثانيها: مجاراة الأقضية والحوادث في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها، ومعلوم أن تلك الأقضية والحوادث لم تقع جملة واحدة وإنما وقعت متفرقة.

ومن ثم كان لا بد من نزول القرآن مفرقًا على حسب هذه الأقضية والوقائع، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

ثالثها: لفت أنظار المسلمين إلى تصحيح الأخطاء التي كانوا فيها، مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]، فقد نزل هذا القول الكريم في غزوة أحد إرشادًا للمسلمين إلى موقع الخطأ الذي وقعوا فيه.

رابعها: كشف حال أعداء الله المنافقين، وهتك أستارهم للنبي ﷺ والمسلمين، ويظهر هذا واضحًا من قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨- ٢٠]. فالآيات المذكورة فضحت المنافقين وكشفت أستارهم.

الحكمة الرابعة: التدرج في تشريع الأحكام:

وذلك حتى يصل إلى درجة الكمال، فالله عز وجل لم يكلف عباده ما لا يطيقونه، بل سلك بهم طريقًا وسطًا، فاهتم القرآن أولاً بزرع وتثبيت العقيدة في النفوس، ولم يكلفهم من العبادات في مكة إلا القليل، فالصلاة لم تفرض عليهم إلا قبل الهجرة بقليل، ثم فرض الصيام والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة.

ولم يحرم القرآن عليهم ما كان يجري في نفوسهم جرى الدم في العروق مرة واحدة، كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه، وألفوه، وكان من الصعب عليهم أن يُجابهُوا بالمنع منه منعًا باتًا، فنزل في شأنه أولاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه، حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئًا إثمه أكبر من نفعه، ثم نزل ثانيًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات، ثم نزل ثالثًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩٢]، فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعًا باتًا في جميع الأوقات، بعد أن هُيئت النفوس، ثم مرنت على المنع منه في بعض الأوقات، وكذا الربا لم يحرمه القرآن إلا بعد الهجرة أيضًا.

الحكمة الخامسة: تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه:

حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان.

الحكمة السادسة: تيسير حفظه وفهمه:

لقد نزل القرآن الكريم على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، سجلها ذاكرة حافظة ليس لها دراية بالكتابة والتدوين حتى تكتب وتدون، ثم تحفظ وتفهم، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته، فكان نزوله مفرقًا خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته، كلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة، وتدبروا بيانها ووقفوا عند أحكامها، واستمر هذا منهجًا للتعليم في حياة التابعين، عن أبي نضرة قال: «كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبران جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات». أخرجه ابن عساكر. وعن خالد بن دينار قال: «قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن النبي ﷺ كأن يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا». أخرجه اليبهقي. وعن عمر قال: «تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسًا خمسًا». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

الحكمة السابعة: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد:

إن هذا القرآن الذي نزل منجمًا على رسول الله ﷺ في أكثر من عشرين تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزمن يقرؤه الإنسان ويتلو سُوَرَهُ فيجده مُحكم النسج، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ولو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل في مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصي أن يكون بينه التوافق والانسجام: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. هذا والله أعلم.

مفاهيم عقائدية: الإيمان بالملائكة

• الحلقة الثالثة •

إعـداد: أسـامة سليمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

سادساً: علاقة الملائكة بذرية آدم:

للملائكة علاقة وثيقة بذرية آدم، فمنهم الحفظة الذين يقومون بحفظ الإنسان، قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظون العبد من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء القدر خَلَّوْا عنه، وجاءت الآيات القرآنية تؤكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾، ولذلك لما قيل لعلي رضي الله عنه: إن نفرًا يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه فيما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جنة حصينة.

ومنهم الكتبة الذين يكتبون عمل الإنسان، يقول سبحانه: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾، فإذا تكلم الإنسان بكلمة يرقبها الملك الموكّل بكتابتها فيكتبها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

ومنهم الموكّل بالرحم: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: أي ربِّ: ذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك». رواه مسلم.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع؛ بِكَتْبِ رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد». رواه البخاري ومسلم.

ومنهم الموكّل بالوحي، يقول تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾، ويكاد جبريل عليه السلام يختص بهذه الوظيفة.

ومنهم الموكل بقبض روح العباد، يقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾، وملك الموت له أعوان ينزعون روح المؤمن في سهولة ويسر كما تنزع القطرة من فم الإناء وينزعون روح الكافر بصعوبة كما تنزع الشوكة من الصوف المبتل، يقول جل شأنه: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، ويقول جل شأنه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧- ٩].

والملائكة تستغفر للمؤمنين وتصلي عليهم، يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

وصلاة الملائكة استغفارهم للمؤمنين والدعاء لهم، وهذه بعض الأعمال التي تصلي الملائكة على أهلها:

١- معلم الناس الخير، ففي حديث أبي أمامة أن الرسول ﷺ قال: «إن الله وملائكته، حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير». [صحيح الجامع ١٣٣/٢].

٢- الذين يصلون على النبي ﷺ، ففي الحديث: «ما من عبد يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة، ما دام يصلي عليَّ فليقل العبد من ذلك أو ليكثر». [صحيح الجامع ١٧٤/٥].

٣- المتسحرون، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين». [صحيح الجامع ١٥٣].

٤- من عاد مريضًا، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من امرئ مسلم يعود مسلمًا إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه...» [صحيح الجامع].

٥- المصلون في الصف الأول، ففي الحديث: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول». [صحيح الجامع ٢١/٦].

والملائكة تبشر المؤمن عند الاحتضار عند خروج الروح وقبل أن تفارق الجسد بالنعيم والرضوان، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

كما أن الملائكة تحب المؤمنين، ففي الحديث «أن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل، إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض». [رواه مسلم].

فإن أراد العبد قبولاً في الأرض فطريقه محبة الله التي لا تأتي إلا بفعل الواجبات وترك المحرمات، ثم بفعل المستحبات وترك المكروهات، ففي الحديث: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...»، كما أنها تدعو العباد إلى فعل الخيرات، ففي صحيح البخاري: «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا».

والله من وراء القصد.

التوحيد أساس العزة

الحمد لله بيده الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يعز من وحدوه، ويذل من جحدوه، وبالعبادة الحَقَّة لم يُفردوه، وبخلقه ومملوكاته عَدَلُوه وبعد:

فقد جرت سنة الله في عباده أن يَنْصر ويُعز من آمن به ووحَّده، ويخذل ويذل من أشرك به، وقد قرر القرآن هذه القاعدة في أكثر من موضع من آياته المحكمات، وفي أكثر من جماعة من الجنس البشري عبر قافلة الزمان، فقد قررها مع المشركين عبدة العجل في زمن موسى عليه السلام وأذلهم حيث قال تعالى في سورة الأعراف ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:٥٢] يقول ابن كثير في تفسيرها: أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في الدنيا في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضًا ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة وصغارًا في الحياة الدنيا، وقوله ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين، وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل(١) وأقول: إذا كان الله ضرب الذلة على عبدة العجل ونالهم غضبُ الله وجعل الله هذا عقابًا لكل مفتر مثلهم فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ وأصابهم ما ذكر في الآية رغم أن فيهم موسى عليه السلام الذي حَرَّقَ العجلَ ونَسَفَهُ في اليم نَسْفًا وعاقب السامريَّ صاحب البدعة وأزال المنكر، فإذا أرادت الأمة الإسلامية عزًا ورفعةً وإزالة للذل عنها فعليها أن تزيل من ديارها كل معبود غير الله تعالى، فكم من قرية ومدينة ونجع فيها ضريح وقبة لولي أو لغير ولي يُنذر له النذور، ويُطاف به كما لو كان بيت الله الحرام ويُحج كل عام ويُسأل من دون الله تعالى ويُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، ويُعكف حول هذا القبر مثل عكوف بني إسرائيل على عجلهم، فعلى الأمة أن تُنفذ أمر الرسول ﷺ في مثل ما رواه مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: «قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته». وقرر القرآن هذه القاعدة في موضع آخر بخصوص أتباع عيسى عليه السلام ومخالفيه فقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥] ويقول الشوكاني في تفسيرها أي الذين اتبعوا ما جئت به وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلهًا، ومنهم المسلمون فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو، فلم يُفرِّطوا في وصفه كما فرّطت اليهود ولا أفْرطوا كما أفرطت النصارى وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم، وقيل هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح، ويقول أيضًا وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية ويكون المسلمون أنصاره وأتباعه إذ ذاك فلا يبعد أن يكون في هذه الآية إشارة إلى هذه الحالة(٢) انتهى.

فأتباع عيسى أعزة سواء كانوا الحواريين أو المسلمين، والمشركون به أذلة، وهؤلاء المشركون لا يكرهون عيسى عليه السلام بل يحبونه ولكن أفرطوا في ذلك فرفعوه فوق منزلته فصاروا بهذا أذلة إلى يوم القيامة بحكم القرآن فيهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة:٧٢] وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ [المائدة:٧٣] والذين فعلوا مثلهم واتبعوا سنتهم من الأمة المحمدية ورفعوا الرسول ﷺ فوق منزلته ربما أصابتهم الذلة لأن من تشبه بقوم فهو منهم ولتحذير النبي ﷺ من ذلك بقوله فيما رواه الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» والاطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه أو هو المدح بالباطل، فالمعنى لا تغلو كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادعوا فيه الألهية، فالموحدون الذين يعظمون أمره ونهيه ويهتدون بهديه ويتبعون سنته ويدعون إلى دينه وينصرونه ويوالون من عمل به ويعادون من خالفه هم الأعزة وفوق من خالفه حتى إن زعموا أنهم يحبونه. وقررها أيضًا في موضع آخر في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل:٣٧] فهم أذلة لأنهم يسجدون للشمس المخلوقة من دون الله الخالق وسليمان

والشـــرك أصل الذلّةِ

إعداد / شوقي عبد الصادق عبد الحَميد

وجنوده الموحدون أعزة ومنهم هذا الهدهد الموحد الذي أبلغ سليمان بمنكر هؤلاء القوم الذين يسجدون للشمس من دون الله وقام بواجبه في إزالة هذا المنكر حتى أسلمت ملكة سبأ وجاءت معلنة هذا بين يدي سليمان عليه السلام بقولها ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:٤٤] إنه الإسلام لله مع سليمان وليس الإسلام لسليمان، فالإسلام ليس استسلامًا لأحد من خلق الله حتى ولو كان النبي الملك صاحب هذه المعجزات، إنما الإسلام إسلام لله رب العالمين ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه فقد انتقلت بتوحيدها لله من مستنقع الذلة الذي عاشت فيه حينًا من الدهر بسبب سجودها وقومها للشمس إلى قمة العزة وصارت مصاحبة لسليمان وجنوده الموحدين، وفي هذا عبرة لمن دأب على السجود على أعتاب الأضرحة والقبور، وتحت أقدام الشيوخ، الحي منهم والمقبور ظنًا منه أنهم وسيلته وزلفاه إلى مرضاة ربه ولا يزداد بذلك إلا ذلا ويبقى العز كله في السجود لله وحده لا شريك له وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ومتابعة رسوله ﷺ.

وأعز الله الموحدين في صدر هذه الأمة عندما حققوا التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣] ويقول الشوكاني وأذلة جمع قلة ومعناه أنهم كانوا بسبب قلتهم أذلة وهو جمع ذليل استعير للقلة إذ لم يكونوا في أنفسهم أذلة بل كانوا أعزة، والنصر: العون(٣) ونقول: نعم بل كانوا أعزة وتجلت هذه العزة في استغاثتهم بالله ودعائهم إياه دون غيره، ومعلوم أن يوم بدر هو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع فيه الشرك وضرب محله وحزبه، أعز الله المسلمين لأنهم حققوا التوحيد، وصور القرآن ذلك في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠] فإذا رام الموحدون والأمة عزًا ونصرًا فلا يستغيثون إلا بالله لا يطلبون الغوث من غيره ولا من الإنس ولا من الجن فإن فعلوا ذلك ما زادوهم إلا رهقا وذلا ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

ولما حدث شرخ في صرح الموحدين أيام عز الإسلام أعطاهم الله سبحانه درسًا لا ينسى فلما ركنوا بعض الشيء إلى العدد والقوة وظنوا أنها تغني عنهم شيئًا وهذا يقدح في كمال التوحيد كان الانكسار وفقد العزة ولو لحين كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥-٢٦] يقول الشوكاني: لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا: الآن نقاتل حين اجتمعنا، فكره رسول الله ﷺ ما قالوا وما أعجبهم من كثرتهم، فالتقوا فهُزموا حتى ما يقوم أحد منهم على أحد، جعل رسول الله ﷺ ينادي أحياء العرب «إليَّ إليَّ» قالوا: فوالله ما يعرج عليه أحد حتى أعرى موضعه، فالتفت إليه الأنصار وهم ناحية فناداهم «يا أنصار الله وأنصار رسوله؛ إليَّ عباد الله، أنا رسول الله» فجثوا يبكون وقالوا: يا رسول الله ورب الكعبة إليك، فنكسوا رءوسهم يبكون وقدموا أسيافهم يضربون بين يدي رسول الله حتى فتح الله عليهم(٤)، فلما عادوا إلى تحقيق التوحيد وعلموا أن الكثرة لا تغني عنهم شيئًا ألبسهم الله تاج العزة وفتح عليهم ونصرهم وغنموا وأمِنوا من بعد خوف، وهذا وعد الله الذي لا يخلف أبدًا، ولكن بشرط أن يأتي الموحدون بالشرط المذكور في الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] ولما حقق الرسول ﷺ وأصحابه الشرط المذكور في الآية وكان حالهم أنهم عبدوا الله ولم يشركوا به شيئًا حقق الله سبحانه لهم ما وعدهم به، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها».

فلن تعود لنا العزة والملك إلا إذا جردنا التوحيد وعبدنا الله لا نشرك به شيئًا في محبة أو خوف أو رجاء أو استغاثة أو غير ذلك من صور الشرك.

والله من وراء القصد.

هوامش:

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٣٨. (٢) فتح القدير ج١ ص٣٤٥ بتصرف.

(٣) فتح القدير ج١ ص٢٣٨. (٤) فتح القدير ج٢ ص٣٤٨.

زلزال إيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى الإمام أحمد بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول اللّه ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم، وقالت: كان رسول اللّه ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرفت في وجهك الكراهية، فقال رسول اللّه ﷺ: «يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا»، والحديث أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن وهب.

يقول هذا الكلام أتقى الناس لرب الناس، وأخشى العباد لرب العباد، وأعبد البشر لرب البشر، وأعرف الناس بالله عز وجل.

إنه الإحساس اليقظ الدائم بالله وقدره، ثم هو إرجاع جميع الأسباب الظاهرة إلى مسببها جل وعلا، إنه رد الأمر بكليته إلى من بيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾.

إن الملاحدة والعلمانيين يقولون: لماذا تربطون كل شيء بالدين؟ إن هذه كوارث طبيعية، تحدث في كل بقاع الأرض، تنزل بالمؤمنين والكفار والمتقين والفجار، ولا علاقة لها بطاعة ولا معصية، ولا باستقامة ولا انحراف.

ولقد أنزل الله في مثل هؤلاء قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥].

ولكن المؤمنين- وأسوتهم محمد ﷺ- يعتقدون أنه لا عبث في خلق الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

فكما أنه لا عبث في قوانين خلق الله، لا عبث أيضًا في خرق هذه القوانين.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١١].

إن لفظ «الذلول» الذي يطلق عادة على الدابة فيقال: «دابة ذلول» أثبت العلم الحديث دقة مدلول هذا اللفظ على الأرض التي نعيش عليها، فهي فعلاً دابة ذلول.

والبشر الذين يركبون هذه الدابة الذلول يعرفون كيف تتحول إلى دابة غير ذلول، حين يأذن الله! بأن تضطرب قليلاً، فيرتج كل شيء فوق ظهرها ويتحطم: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٦- ١٨].

إنها ثوان معدودات، بعدها يصبح آلاف البشر تحت ناطحات السحاب حصيدًا خامدين!!

القرآن يذكر البشر المخدوعين بسكون الدابة وسلاسة العيش فوق ظهرها ويغريهم الأمان بنسيان خالقها!! بل ومجاهرته بالذنوب والمعاصي، يذكرهم بأن ﴿اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾!!

يذكرهم، والأرض تحت أقدامهم تميد بهم وتمور! وتقذف بالحمم وتفور!! والريح الرخاء من حولهم

رؤية علمية وشرعية

بقلم: د. سمير تقي الدين

تتحول إلى إعصار مدمر، يحذرهم في تهديد رهيب: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

إن العلم الحديث يجيب عن السؤال «كيف»، ولكنه عاجز عن أن يجيب عن السؤال «لماذا»؟!

أما عن الإجابة عن «كيف»: إن الأرض تتكون في شكلها البيضاوي من طبقات متتالية عبارة عن القشرة الأرضية التي تتكون غالبًا من الطبقات الرسوبية وهي حوالي ١٠ كيلو مترات ثم طبقات أخرى تزداد كثافتها إلى أسفلها، وتصل إلى عمق ٢٩ كيلو مترًا ثم يلي ذلك لب الأرض وهو يبدأ من حوالي عمق ٣٥ كيلو مترًا وحتى مركز الأرض، ومركز الأرض مكون من خليط من الحديد ونسبة من النيكل في حال مصهورة ذات كثافة عالية ولهيب شديد الحرارة والضغط.

إن هذا الضغط الشديد والحرارة العالية في باطن الأرض يمثل العوامل الداخلية لحدوث الزلازل، أما العوامل الخارجية فيمثلها الهواء بما فيه من أكسجين وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء ومن الحرارة والبرودة وأيضًا من الأمطار والجليد وأحيانًا من الرمال التي تذروها الرياح: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وهذه العوامل الخارجية هي المسئولة عن بناء الجبال، وعن رفع وخفض القارات!

إن الصخور الصلدة والجبال الراسيات بضخامتها وعلوها ما هي سوى ملامح مؤقتة لقشرة الأرض التي تتبدل وتتغير مع مرور الزمن.

وتنشأ الزلازل من حدوث كسر «صدع» في الصخور الأرضية وانزلاق الصخور على سطح هذا الكسر أو حركة أرضية على كسر قديم غير ظاهر وينتج عن هذه الحركة الأرضية ذبذبات في صورة موجات تنتشر في جميع الاتجاهات خلال القشرة الأرضية منبعثة من مصدر الاضطراب. اهـ بتصرف من «الزلازل دراسات علمية»: د. شاكر أبو الفتوح.

أما عن الإجابة عن «لماذا» فعلمها عند ربي الحكيم الخبير الذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، وحِكمُ صنع اللطيف الخبير لا تتناهى، فهذه الأحداث الهائلة من زلازل وبراكين وسيول وأعاصير:

١- توقظ النائم وتنبه الغافل.

٢- وعيد الله ليس نظريًا ولا سلبيًا، بل هو حق ملموس لا يستطيع البشر له ردًا ولا رصدًا، (لا توجد حتى الآن أي وسيلة علمية نتوقع بها حدوث الزلازل).

٣- أخرج ابن حبان عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: الصيحة والحجارة والريح، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: الرجفة والخسف وهما عذاب أهل التكذيب.

٤- ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٥- طلاقة القدرة الإلهية: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

٦- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

٧- يا أيها الإنسان، هل عرفت حجمك؟ أيها المغرور؟ أيها الثاني عطفه، أيها المصعر خده أيها المتمطي برأسه؟ ما غرك بربك الكريم.

٨- ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١].

٩- وأخيرًا وليس آخرًا، تذكر الزلزلة الكبرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١- ٢].

والحمد لله رب العالمين

واحــة التوحيد..

من نور كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الحج:١٩٧]

من تواضعه وإخلاصه ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ على رَحْلٍ رَثٍ وقَطيفَةٍ تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حج لا رياء فيه ولا سمعة»

المرأة لا تسافر وحدها

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا. قال: «انطلق فحج مع امرأتك».

[مسلم ١٣٤١]

افعل ولا حرج!

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح فقال: «اذبح ولا حرج»، فجاءه آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي. فقال: «ارم ولا حرج»، فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم أو أخر إلا قال: «افعل ولا حرج».

[مسلم ١٣٠٦]

الركن والمقام من ياقوت الجنة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت الرسول ﷺ يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمسا الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب. [صحيح الجامع ١٦٢٩]

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني الأيام العشر. قال يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».

[فتح الباري ٤٥٧/٢]

النحر بعد الصلاة

عن البراء قال: سمعت النبي ﷺ يخطب فقال: أول ما نبدأ من يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا.

[فتح الباري ٩٥١]

فضل صوم يوم عرفة

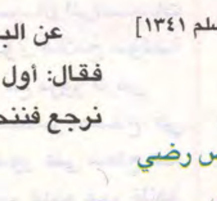

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة: قال: «يكفر السنة الماضية والباقية» [مسلم ١١٦٢]

لا صيام في العيد

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد نهاكم عن صيام هذين العيدين أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم، وأما الآخر فيوم تأكلون من نسككم.

[(٥٥٧١) فتح الباري]

من أراد أن يضحي

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئًا» [مسلم ١٩٧٧].

التكبير في العيد

قال ابن قدامة - رحمه الله - يستحب الناس إظهار التكبير في ليلتي العيدين في مساجدهم ومنازلهم وطرقهم، مسافرين كانوا أو مقيمين ومعنى إظهار التكبير رفع الصوت به، واستحب ذلك لما فيه من إظهار شعائر الإسلام وتذكير الغير. [المغني ٣/٢٥٥]

أصح التكبير

عن سلمان رضي الله عنه قال: كبروا الله: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا»، قال الحافظ في الفتح: هذا أصح ما ورد في التكبير. [الفتح ٢/٤٤٦]

لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ

لا يجوز الطواف بأي مكان سوى بيت الله الحرام الذي أذن الله بالطواف حوله وأما ما يفعله بعض الجهال من الطواف حول القبور أو القباب أو الأضرحة أو نحو ذلك ليس فكل ذلك من دين الله بل هو من وحي الشيطان ومن تشريع إبليس.

خير الدعاء

عن عبد الله بن عمر قال: قال ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة».

[صحيح الترمذي للألباني رقم٣٥٨٥]

قال ابن عبد البر رحمه الله معقبًا: «وفيه - أي هذا الحديث - من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره... وفي الحديث دليل عن أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب» ا.هـ

[التمهيد (٦/٤١)]

من نوادر الفتوى

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

ماذا تقولون أهل العلم في رجل
آتاه ذو العرش مالا حج واعتمرا
فهزه الشوق نحو المصطفى طربا
الحج أفضل أم إيثاره الفقرا
أم حجه عن أبيه ذاك أفضل أم
ماذا الذي يا سادتي ظهرا
فافتوا محبا لكم إني فديتكمو
وذكركم دأبه إن غاب أو حضرا

فأجاب رحمه الله:

نقول فيه بأن الحج أفضل من
فعل التصدق والإعطاء للفقرا
والحج عن والديه فيه برهما
والأم أسبق في البر الذي ذكرا
لكنْ إذا الفرض خص الأبً كان إذًا
هو المقدم فيما يمنع الضررا
كما إذا كان محتاجا إلى صلة
وأمه قد كفاها من يرى البشرا
هذا جوابك يا هذا موازنة
وليس مفتيك معدودا من الشعرا

[مجموع الفتاوى (٢٦/١٠-١١)]

نظرات على الطلاق في الحيض

•• الحلقة الأولى ••

إعداد / **متولي البراجيلي**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

قسَّم الفقهاء الطلاق إلى أقسام متعددة، ومن هذه الأقسام: الطلاق الصريح والكناية، والطلاق المعلَّق والمنجز، والطلاق الرجعي والبائن (بينونة صغرى وكبرى)، والطلاق السنِّي والبدعي.

وإذا نظرنا إلى الطلاق السني والبدعي، نجد أن العلماء وضعوا شروطًا ينبغي توافرها في الطلاق حتى يكون سنيًا، هذه الشروط هي:

١ - أن يكون الطلاق في طهر لم يجامع فيه (أو وهي حامل قد استبان حملها).

٢ - أن يطلق الرجل زوجته طلقة واحدة.

٣ - ألا يخرجها من بيتها ولا تخرج هي حتى تنقضي عدَّتها.

أما الطلاق البدعي فهو ما خالف شرطًا من الشروط السابقة، كأن يطلق في الحيض أو النفاس أو في طهر جامع فيه أو يجمع أكثر من طلقة في المرة الواحدة، وسيكون بحثنا - إن شاء الله - في قسم من أقسام طلاق البدعة، وهو الطلاق في الحيض.

وقد أجمع العلماء على أن الطلاق البدعي حرام وأن فاعله آثم، ثم اختلفوا في وقوعه وعدم وقوعه، وهو خلاف قديم عن طاوس وعن خلاس بن عمرو وغيرهما أنه لا يقع وكذلك قال بعدم وقوعه ابن علية من السلف وابن تيمية وابن القيم وابن حزم وغيرهم، بينما ذهب الجمهور إلى أن الطلاق في الحيض واقع، وبوَّب الإمام البخاري: باب إذا طُلِّقتِ الحائض تعتدُّ بذلك الطلاق، هكذا بتَّ الحكم في المسألة.

والخلاف يرجع لأسباب، لعلَّ من أهمها الروايات المتعددة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي في الباب عندما طلق امرأته في أثناء حيضها وأمره النبي ﷺ بمراجعتها، فهذا الحديث رواياته متعددة وألفاظه كثيرة في كتب السنة مما جعل شيخًا من شيوخ الحديث وهو الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - يقول: حتى كادت أن تكون اضطرابًا [نظام الطلاق في الإسلام/أحمد شاكر]، وهناك أسباب أخرى للخلاف منها: هل الشروط التي اشترطها الشرع في الطلاق السنِّي هي شروط صحة وإجزاء أم شروط كمال وتمام، فمن قال شروط إجزاء، قال: لا يقع الطلاق الذي عُدِم هذه الصفة، ومن قال شروط كمال وتمام، قال: يقع ويندب إلى أن يقع كاملا [بداية المجتهد/ابن رشد].

وفي بداية البحث نورد حديث ابن عمر كما جاء في البخاري، مع الإشارة إلى بعض الزيادات التي وردت في الروايات المتعددة للحديث:

فقد أخرج البخاري في كتاب الطلاق،

باب: وقول الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق:١].

من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائضٌ على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمرُ بنُ الخطابِ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ:

«مُرْه فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمسَّ، فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلَّق لها النساء» [البخاري٥٢٥].

ثم أخرجه في مواضع عدَّة من الصحيح ببعض زيادات، أسوق بعضها:

- فتغيَّظ به رسول الله ﷺ (أي لما ذكر عمر له واقعة طلاق عبد الله لامرأته وهي حائض).
- فذكر عمر للنبي ﷺ فقال: ليراجعها، قلت: تحتسب؟ قال: فَمَهْ؟
- عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: حُسِبَتْ عليَّ تطليقة.
- عن يونس بن جبير قلت (لابن عمر): فهل عدَّ ذلك طلاقًا؟ قال: إن رأيت إن عجز واستحمق.
- عن يونس بن جبير، قلت (لابن عمر): أفتعتدُّ بتلك التطليقة؟ قال: أرأيت إن عجز واستحمق.

وهناك زيادات عند مسلم، منها:

- فقال له (لعمر بن الخطاب) رسول الله ﷺ: مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمسَّ.
- وكان عبد الله إذا سئل عن ذلك، قال لأحدهم: أمَّا أنت طلَّقت امرأتك مرة أو مرتين، فإن رسول الله ﷺ أمرني بهذا (أي بالمراجعة)، وإن كنت طلقتها ثلاثًا فقد حَرُمَت عليك، حتى تنكح زوجًا غيرك، وعصيت الله فيما أمرك من طلاق امرأتك.
- قال عبيد الله (أحد رواة الحديث عن نافع): قلت لنافع: ما صنعت التطليقة؟ قال: واحدة اعتدَّ بها.
- وفي رواية سالم بن عبد الله بن عمر بعد أن ساق الحديث، هناك زيادة: وكان عبد الله طلقها تطليقة واحدة فحسبت من طلاقها، وراجعها عبد الله كما أمره رسول الله ﷺ، وفي رواية قال ابن عمر: فراجعتها وحَسَبْتُ لها التطليقة.
- فقال ﷺ: مُرْهُ فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملا.
- عن يونس بن جبير قال: فقلت له (لعبد الله بن عمر): إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض، أتعتدُّ بتلك التطليقة؟

فقال: فمه، أوَ إن عجز واستحمق.

- وعن أنس بن سيرين قلت (لابن عمر): فاعتددت بتلك التطليقة التي طلقت وهي حائض؟ قال: ما ليَ لا أعتدُّ بها؟ وإن كنتُ عجزت واستحمقتُ.

وهناك زيادات في غير الصحيحين، منها:

- في سنن أبي داود: عن أبي الزبير، قال عبد الله: فردَّها عليَّ، ولم يرها شيئًا. [صحيح سنن أبي داود].

وكما رأيت، فهناك روايات متعددة وزيادات لقصة واحدة للصحابي الجليل عبد الله بن عمر.

وسأسوق فيما يلي أهم الأدلة التي اعتمد عليها الجمهور في قولهم بوقوع طلاق الحيض، وكذا أهم أدلة المخالفين لهم.

أولا: أدلة الجمهور

١- قول النبي ﷺ لعمر في الحديث: مره فليراجعها، والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق.

٢- تصريح ابن عمر لسعيد بن جبير: حسبت عليَّ بتطليقة.

٣- قول ابن عمر ليونس بن جبير عندما سأله: أتعتد بتلك التطليقة؟ فقال فمه أو إن عجز واستحمق.

٤- أورد الحافظ ابن حجر في فتح

• الطلاق يكون موافقًا للسنة؛ إذا كان في طهر لم يحدث فيه جماع، أو حمل قد استبان، وطلقة واحدة، ولا تخرج الزوجة من بيتها ولا يخرجها زوجها

• والطلاق البدعي هو ما خالف شرطًا من الشروط السابقة.

الباري أن ابن وهب أخرج في مسنده عن ابن أبي ذئب أن نافعًا أخبره:

أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، وهي واحدة.

٥ - وأورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري: عند الشافعي عن مسلم بن خالد عن ابن جريج: أنهم أرسلوا إلى نافع يسألونه: هل حسبت تطليقة ابن عمر على عهد النبي ﷺ؟ فقال: نعم.

٦ - في رواية سالم ابن عبد الله بن عمر صرَّح فيها عن أبيه قوله: فراجعتها وحسبت لها التطليقة.

٧ - قال ابن قدامة في المغني: وفي رواية الدارقطني: قال «القائل عبد الله بن عمر»: فقلت يا رسول الله ﷺ أفرأيت لو أني طلقتها ثلاثًا أكان يحلُّ لي أن أراجعها؟ قال: لا، كانت تبين منك وتكون معصية.

٨ - قال في «نيل الأوطار» عن عكرمة قال: قال ابن عباس: الطلاق على أربعة أوجه، وجهان حلال ووجهان حرام، فأما اللذان هما حلال، فأن يطلق الرجل امرأته طاهرًا من غير جماع أو يطلقها حاملا مستبينًا حملها، وأما اللذان هما حرام فان يطلقها حائضًا أو يطلقها عند الجماع لا يدري اشتمل الرحم على ولدٍ أم لا. رواه الدارقنطي.

٩ - قال الإمام البغوي في «شرح السنة» وروي أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن ذلك، قال لأحدهم: إن كنت طلقتها ثلاثًا، فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجًا غيرك، ولو طلقت مرة أو مرتين، فإن النبي ﷺ أمرني بهذا (بالمراجعة).

١٠ - أن الطلاق البدعي مندرج تحت الآيات العامة للطلاق.

ثانيا: أدلة القائلين بعدم وقوع الطلاق في الحيض

ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن القيم، ابن حزم، الصنعاني، صديق حسن خان، أحمد شاكر وغيرهم.

١ - أمر الرسول ﷺ برد الطلاق (المراجعة) يشعر بعدم وقوعه، وكل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد - كما بالحديث.

٢ - الطلاق البدعي لا يندرج تحت الآيات العامة للطلاق لأن الله لم يأذن به وأمر بخلافه.

٣ - ما رواه ابن حزم في «المحلى» بسنده المتصل عن ابن عمر: أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، لا يعتد بذلك [قال في الروضة الندية: وإسناده صحيح].

٤ - زيادة أبي الزبير قال عبد الله بن عمر: فردها عليَّ، ولم يرها شيئًا. [وهي عند أبي داود بسند صحيح، قال ابن القيم في زاد المعاد: هذا إسناد في غاية الصحة].

٥ - قراءة ابن عمر: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبُل عدتهن [وهي قراءة شاذة ليست قرآنا إنما تصلح في التفسير والتوجيه].

٦ - في قول الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الطلاق في الطهر الذي لم يمس فيه هو العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء.

٧ - أن الرسول ﷺ نهى ابن عمر عن طلاقه في الحيض، والنهي يقتضي الفساد، قاله ابن تيمية (مجموع الفتاوى جزء٣٣):

والصحابة والتابعون كانوا يستدلون على فساد العبادات والعقود بتحريم الشارع لها، وهذا متواتر عنهم.

٨ - في قول الله تعالى: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

٩ - أن النبي ﷺ قال: كل بدعة ضلالة، وقد اتفقوا على تسمية طلاق الحيض بالطلاق البدعي.

١٠ - ما أورده الشيخ أحمد شاكر في نظام الطلاق في الإسلام، من طريق ابن لهيعة ما يؤيد صحة زيادة أبي الزبير أنه روى القصة نفسها سماعًا عن جابر بن عبد الله [وهي في مسند أحمد]، حدثنا أبو الزبير قال: سألت جابرًا عن الرجل يطلق امرأته وهي حائض.

أن عمر أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال رسول الله ﷺ: ليراجعها فإنها امرأته.

[قال الشيخ أحمد شاكر: وهذا إسناد صحيح]

١١ - ما أورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن ابن عبد البر عن الشعبي قال: إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض لم يعتد بها في قول ابن عمر.

- وبعد أن سقنا غالب أدلة الجمهور والمخالفين لهم، ننظر إلى توجيه ردود هذه الأدلة من الفريقين، وهذا نستكمله - إن شاء الله - في العدد القادم.

والحمد لله رب العالمين.

سيد التابعين وزاهد العصر

أبو مسلم الخولاني

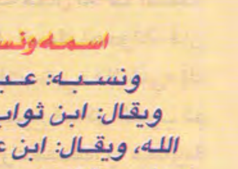

إعداد / **مجدي عرفات**

اسمه ونسبه: *اسمه ونسبه: عبد الله بن ثُوَب، ويقال: ابن ثواب، ويقال: ابن عبد الله، ويقال: ابن عبيد، ويقال: ابن عوف، ويقال: ابن مسلم، ويقال: اسمه يعقوب بن عوف أبو مسلم الخولاني الداراني الزاهد، أدرك الجاهلية وسكن الشام، فنزل بداريّ أصله من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق.*

شيوخه: *روى عن عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وابي ذر وعبادة بن الصامت وعوف بن مالك.*

الرواة عنه: *روى عنه: أبو إدريس الخولاني، وعمير بن هانئ العنبسي، ومكحول، وعطية بن قيس، وعطاء الخراساني، وعطاء بن أبي رباح المكي، وجبير بن نفير، وشرحبيل بن مسلم، وأبو قلابة الجرمي، وأبو العالية الرياحي، وغيرهم.*

ثناء العلماء عليه:

قال يحيى بن معين: أبو مسلم الخولاني شامي ثقة.

قال ابن سعد: كان ثقة.

قال البخاري: قارئ أهل الشام. وكذلك قال ابن أبي حاتم.

قال عبد الجبار بن محمد الخولاني: أدرك الجاهلية وكان من الأفاضل الأخيار، روى عنه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان فاضلاً دينًا ورعًا.

قال العجلي: شامي تابعي ثقة من كبار التابعين وعُبَّادهم.

قال مالك بن دينار: هذا حكيم هذه الأمة.

قال أبو نعيم: ومنهم المتخلى عن الهموم والكُرَب، المتسلي بالأوراد والنُوب، الخولاني أبو مسلم عبد الله بن ثُوَب، حكيم الأمة وممثلها، وقديم الخدمة ومحررها.

قال ابن حجر: أبو مسلم الخولاني الزاهد ثقة عابد.

من أحواله وأقواله:

قال الزهري: سمع أبو مسلم أهل الشام ينالون من عائشة، فقال: ألا أخبركم بمثلي ومثل أمكم هذه؟ كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما.

قال عثمان بن أبي العاتكة: علق أبو مسلم سوطًا في المسجد، فكان يقول: أنا أولى بالسوط من البهائم، فإذا فتر مشق (ضرب) ساقية سوطًا أو سوطين، قال: وكان يقول: لو رأيت الجنة عيانًا أو النار عيانًا ما كان عندي مستزاد.

قال عطية بن قيس: دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غازٍ في أرض الروم وقد احتفر جُوزةً في فسطاطه وجعلَ فيها نِطْعًا وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق (يتقلب) فيه، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات وهن بُدَّنٌ، إنما تجري وهن ضُمَّر، ألا وإن أيامنا باقية جائية لها نعمل.

قال عبد الملك بن عمير: كان أبو مسلم إذا استسقى سُقي (أي مجاب الدعاء).

عن محمد بن زياد أن امرأة خببت (أفسدت) على أبي مسلم امرأته، فدعا عليها فعميت، فأتته فاعترفت وتابت، فقال: اللهم إن كانت صادقة فأردد بصرها فأبصرت.

عن بلال بن كعب أن الصبيان قالوا لأبي مسلم: ادع الله أن يحبس علينا هذا الظبي فنأخذه فدعا الله فحبسه فأخذوه.

وعن عطاء الخراساني أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق، فقال: هل عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غزلاً، قال: ابغينيه وهاتي الجراب، فدخل السوق فأتاه سائل وألح عليه فأعطاه الدرهم وملأ الجراب نشارة مع تراب، وأتى وقَلْبُه مرعوبٌ منها وذهب ففتحته فإذا به دقيق حُوّاري (أبيض) فعجنت وخبزت، فلما جاء ليلاً وضعته، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق فأكل وبكى.

قال سعيد بن عبد العزيز: كان أبو مسلم يرتجز يوم صفين ويقول:

ما علتي ما علتي وقد لبست درعتي
أموت عند طاعتي

قال سعيد بن عبد العزيز: قال أبو مسلم: لو قيل لي: إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي.

قال أبو مسلم: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فإنهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن سابَبتهم سابوك وإن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن نفرت منهم يدركوك، قال: فما أصنع؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك.

قال أبو مسلم: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتها ونعمتها وودعتها ذمتني غدًا عند الله وإن أنا سخطتها وأنصبتها وأعلمتها رضيت عني غدًا؟ قالوا: ومن يا أبا مسلم؟ قال: والله نفسي.

قال أبو مسلم: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء يجري منها إلى نهر عظيم فيخوض الناس النهر فيكدرونه ويعود عليهم صفو العين، فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر، قال: ومثل الإمام ومثل الناس كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود لا يقوم العمود إلا بالأطناب، أو قال بالأوتاد فكلما نزعت وتدًا زاد العمود وهنا، لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

قال أبو مسلم: أربع لا يتقبلن في أربع في جهاد، ولا حج، ولا عمرة ولا صدقة، الغلول ومال اليتيم، والخيانة والسرقة.

قال حميد: قيل لأبي مسلم الخولاني حين كبر: إنك قد كبرت فلو رفقت بنفسك، قال: أليس إذا أرسلت الحلبة، فقلت لفرسانها: ارفقوا بها وسددوا بها فإذا دنوتم من الغاية فلا تستبقوا منها شيئًا؟ فقد رأيت الغاية فدعوني.

قال أبو مسلم: ما عملت عملاً أبالي من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائط، قلت: ليس رياء بل دعوة للناس بالعمل.

عن محمد بن زياد عن أبي مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجيزوا بسم الله، ويمر بين أيديهم فيمرون بالنهر الغمر وربما لم يبلغ من الدواب إلا في الركب أو بعض ذلك أو قريبًا، فإذا جاوز ذلك قال للناس: هل ذهب لكم من شيء؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامن له، فألقى بعضهم مخلاته عمدًا، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر، فقال: اتبعني فاتبعه، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها.

قال عثمان بن أبي العاتكة: اشترى أبو مسلم بغلة، فقالت أم مسلم: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: اللهم بارك لنا فيها، فماتت، قال: فاشترى أخرى فقالت: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: اللهم بارك لنا فيها، فماتت، فاشترى أخرى فقالت: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: يقول: اللهم متعنا بهم، فبقيت لهم.

قال أبو مسلم- بعد مقتل عثمان-: يا أهل المدينة، والله لأنتم أعظم جرمًا عند الله من ثمود، فإن ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله، وخليفة الله أكرم على الله عز وجل من ناقته.

قلت: خليفة الله أي أن الله هو استخلفه وليس بمعنى أنه يخلف الله في الإمارة بل إن الله خليفة كل مسلم.

دخل أبو مسلم على معاوية فقال له: ما اسمك؟ قال: اسمعي معاوية، قال: بل اسمك أحدوثة، فإن جئت بشيء فلك شيء وإن لم تأت بشيء فلا شيء لك يا معاوية إنك لو عدلت بين جميع قبائل العرب ثم مِلْت على أقلها قبيلة مَالَ جورك بعدلك، يا معاوية إنا لا نبالي بكدر، الأنهار إذا صفا لنا رأس العين.

قال أبو مسلم: أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإن فيه الغنى، وأقل طلب الحاجات إلى الناس فإن فيه الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه من الكلام، وصلّ صلاة مودع يظن أن لن يعود، وإن استطعت أن يكون اليوم خيرًا منك أمس ويكون غدًا خيرًا منك اليوم فافعل.

قال معاوية: إنما المصيبة كل المصيبة بموت أبي مسلم الخولاني وكريب بن سيف الأنصاري.

وله أخبار وأحوال وأقوال عجيبة اقتصرت على ما قدمت.

وكانت وفاته سنة اثنتين وستين، وقيل قبل ذلك. والله أعلم.

المراجع: حلية الأولياء- تاريخ دمشق- سير أعلام النبلاء- تهذيب الكمال- تقريب التهذيب.

القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد

الحلقة الثالثة

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

تقسم التوحيد حقيقة شرعية معلومة بالاستقراء

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الله في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جُبلت عليه فِطَرُ العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، تجاهل من عارفٍ أنه عبدٌ مربوبٌ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى: «لا إله إلا الله»، وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت، في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت.

ومعنى الإثبات منها: إفراد اللَّه جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من

التوحيد: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] الآية، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إن ما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد؛ لشمول كلمة «لا إله إلا الله» لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة اللَّه بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب. والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته، وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه اللَّه جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقد قدَّمنا هذا المبحث مستوفىً موضحًا بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يُعبد وحده، ووبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنه الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يُعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١]، فلما أقروا بربوبيته وبَّخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلمَّا اعترفوا وبَّخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما أقروا وبَّخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما أقروا وبَّخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾، فلمَّا صح الاعتراف وبّخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صحَّ اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صح إقرارهم وبَّخهم منكرًا

عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صح اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾، ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أنَّ القادر على خلق السموات والأرض وما ذكر معها خيرٌ من جمادٍ لا يقدر على شيء، فلما تعين اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾، ولا شك أنَّ الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله، فلمَّا تعين اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾، ولا شك أنَّ الجواب كما قبله. فلمَّا تعين إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، ولا شك أنَّ الجواب كما قبله، فلما تعين إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، ولا شك أنَّ الجواب كما قبله، فلما تعين الاعتراف وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩- ٦٤]، ولا شك أنَّ الجواب لا جواب لهم غيره هو: لا، أي ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئًا من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلمَّا تعين اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

والآيات بنحو هذا كثيرة جدًا، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع: أنَّ كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منهم أنهم إذا أقروا رتَّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا الاستفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار لأنهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه.

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد حفظه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرَّره الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان وآخرون رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء».

وما يؤمن بالتوحيد من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع؛ إذ التوحيد المطلوب شرعًا هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن لم يأت بهذا جميعًا فليس موحدًا.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كيف نفهم عقيدة السلف؟

•• الحلقة الرابعة ••

بقلم

د. محمود عبد الرازق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

ذكرنا في العدد الماضي أن فهم سلف الأمة مرتبط بعدة قواعد تبين المقصود من الدعوة إلى الالتزام بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة، وقد تحدثنا عن القاعدة الأولى وبينا أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام، ولا يقبل الله دينا سواه وأن القرآن الذي نزل على رسوله محمد ﷺ ناسخ لما سبق من الرسالات السماوية ومهيمن عليها وأن جملة الرسالة التي نزلت من الله إلى رسوله ﷺ تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة، وقد تلقاها النبي ﷺ عن طريق الوحي وعلى أشكاله المختلفة، كما بينا أن الاحتجاج بالسنة النبوية عند السلف كالاحتجاج بالآيات القرآنية سواء بسواء، ولا خلاف في ذلك بين جمهور العلماء، وأن السنة هي المصدر الثاني لمعرفة أصول الإسلام، بعد القرآن الكريم الذي هو خير الكلام، واليوم نكمل حديثنا عن القاعدة الثالثة بمشيئة الله وعونه.

ثم عيب علي من يدعو الناس على شاشات التلفاز إلى العلم والإيمان، عيب عليه أن يطعن في تدوين السنة، وألا يعلم أن الرسول لما نهى عن تدوين السنة في عصره كان ذلك للحفاظ على القرآن وعدم اختلاط المكتوب من كلام الله بالمكتوب من كلام رسول الله ﷺ، كما أن الصحابة كانوا يحفظون السنة ويتناقلونها فيما بينهم لا يفرقون بين العمل بمقتضى القرآن أو السنة، ثم لما مات أكثرهم انكب التابعون وتابعوهم على جمع كلام الرسول خشية ذهابه.

والعجيب في الدكتور - الذي أنكر الشفاعة لصاحب المقام المحمود - أنه يقول بتجرئه المعهود: «والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف، وقال في كتابه المحكم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السنة».

فهو يسير خلف المستشرقين وغيرهم من المنكرين والمشككين في قواعد الدين - بحسن النية طبعا - فالقول بالاكتفاء بالقرآن فقط وردُّ السنة بأسرها، قول باطل بالضرورة العقلية لأنه هدم للدين وقواعده الأساسية، وبرهان ذلك أن الله أمر في القرآن بالصلاة والزكاة في مواضع كثيرة منها: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:١٩-٢٥].

ومعلوم أنه لم يرد في القرآن تفصيل لكيفية الصلاة وأعدادها المقبولة عند الله، أو المقدار المحدد لفرضية الزكاة، سواء زكاة المال أو الزروع أو عروض التجارة، فلا بد من الأخذ بالسنة لبيان الأحكام، وهذه المسألة لا يقدر أحد على النزاع فيها، والسؤال الآن الذي يتوجه لهؤلاء: على أي ضابط أو أي قاعدة نعرف الصحيح من صحيح البخاري، ونحكم على الضعيف كما حكمتم؟ هل عقل الدكتور هو الفاصل أو عقل الدكتور الذي شكك في قواعد السنة أيضا على صفحات مجلة الجيل؟ أو ما يراه غيرهما وأمثالهما؟

فليحاول واحد من هؤلاء أن يضع الضوابط المنطقية والقواعد الأساسية لفرز السنة دون أن يرجع في حديث واحد إلى علماء الحديث، فهؤلاء كما ذكروا كُتَّابُ سِيَر ولا عبرة بقواعدهم عندهم،

فنقول لأحدهم: جَرِّب أنت وغيرك ممن هو على منهجك، فإن اتفقتم على الأحاديث التي يجب أن تدين بها الأمة فنحن وجميع العقلاء معكم؟

أو اكتبوا لنا سنة جديدة نفهم بها القرآن بدلا من سنة الحبيب محمد ﷺ، وتذكروا بعد ذلك أنكم ستدعون الناس إلى سنتكم لا سنة محمد ﷺ، وهل تبقى الأحكام معطلة حتى يمن علينا أمثال هؤلاء فيبينوا لنا أحكام القرآن، إن السنة بفضل الله بينت ودونت ونقحت وانتشرت على يد الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث وغيره من علماء الحديث بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، قال أبو طالب المكي: «فإنا قوم متبعون نقفوا الأثر غير مبتدعين بالرأي والمعقول نرد به الخبر.. وفي رد أخبار الصفات بطلان شرائع الإسلام لأن الناقلين إلينا ذلك هم ناقلوا شرائع الدين وأحكام الإيمان، فإن كانوا عدولا فيما نقلوه من الشريعة فالعدل مقبول القول في كل ما نقلوه وإن كانوا كذبوا فيما نقلوا من أخبار الصفات فالكاذب مردود القول في كل ما جاءوا به».

ونقول لفضيلة الدكتور: حفظ دين الإسلام ليس في حفظ القرآن فقط، كما أكدت في كلامك بل هو قائم على أمرين لازمين تكفل الله بهما:

الأمر الأول: حفظ دستور الإسلام على الدوام من جهتين، الجهة الأولى حفظ القرآن بإعجاز تركيبه وبلاغة كلماته، كنظم معجز يتحدى العالم أجمع، والجهة الثانية حفظ السنة التي تميزت في الأمة الإسلامية عن غيرها في براعة نادرة بالأسانيد ووضع قواعدها التي تميز بين المقبول والمردود أو الصحيح والضعيف مما نسب إلى رسول الله ﷺ، وهو ما عرف بعلم مصطلح الحديث، والذي ظهر من مقالة سيادة الدكتور مدى ضعفه الشديد وبضاعته المزجاة في هذا العلم، قال العلامة ابن مندَه في كتابه فضل الأخبار وشرح مذهب أهل الآثار ٢٩/٢ عن فضل علماء الحديث الذين حفظوا بالأسانيد سنة النبي ﷺ: «هم أئمة الدين وحفاظه.. وإليهم انتهى علم الأسانيد وبهم تلزم الحجة على من خالفهم، ويقبل انفرادهم، إذ كانوا المقدمين في عصرهم لمعرفتهم بما جاء عن الرسول ثم عن الصحابة من بعده وعن التابعين ومن بعدهم بإحسان رضي الله عنهم»، ويقول ابن حزم في الإحكام ١:٩٥، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٤٥]، فأخبر تعالى أن كلام نبيه ﷺ كله وحي، والوحي بلا خلاف ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله عز وجل، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، إذ ما حفظ الله تعالى فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله».

ونحن لو أغفلنا السنة في الاحتجاج وطعنا في قواعدها وعلومها كما يدعو هؤلاء الدكاترة، وكما فعل أهل التشيع والخوارج وأهل الضلال من الاعتزال، فإن الأحكام التي نستخلصها بمفردنا من القرآن دون ضوابط ستختلف من فرد إلى آخر، وستصبح الأحكام فوضى، كل يرى برأيه ما يحلو له، وكل منهم ينزع الآية من كتاب الله ليضعها على ما يوافق هواه، كالذي يدعو إلى أن يكون الوقوف بعرفة في سائر أيام الأشهر الحرم بدلا من التاسع من ذي الحجة فقط، وآخر يريد فقها جديدا لا يرجم فيه الزاني ولا يقتل فيه المرتد، وغير ذلك من دعاة التشويش على سنة المصطفى ﷺ، فكان لا بد لحفظ دين الإسلام من حفظ السنة وتحديد قواعدها بمنهج شامل متكامل، وهذا بحمد الله، منة من الله على أمة محمد ﷺ، فقد خصها الله بأعظم علم قام به العلماء في التاريخ، وهو ضبط السند والنقل عن الآخرين، وهو المعروف بعلم مصطلح الحديث.

الأمر الثاني: أن الله حفظ دين الإسلام واقعا مرئيا بوجود من يطبقه على نفسه من المؤمنين، وهؤلاء هم حجة الله على غيرهم من المنحرفين، فقد يدعي أحدهم أن القرآن منهج مثالي لا يصلح في هذا الزمان، أو يمكن أن يطبق في مكان دون مكان، فقال رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم عن ثوبان، في وجود طائفة تلتزم أحكام القرآن، في واقعية مستمرة إلى آخر الزمان، حتى ولو كانوا قلة بين بني الإنسان: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (١٩٢٠).

القاعدة الرابعة في العدد القادم إن شاء الله

وقفات على طريق طلب العلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فالحديث عن العلم وأهله وعن فضله يطول، وقد ألف العلماء في فضله والثناء على أهله، ومن أحسن ما أُلف في ذلك كتاب «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر رحمه الله، وثَمّ كتب أخرى في هذا الشأن ، ومن الأحسن لطالب العلم في بداية طلبه أن يقرأ في هذه الكتب لما تشتمل عليه من بيان فضل العلم وأهميته ، وشئ من سير السلف في طلبه ، وآداب الطلب ،وغير ذلك مما يحتاجه طالب العلم.

وكم كنت أجد الحاجة إلى وقفاتٍ في طريق طلب العلم تُبين السبيل وتوجه المسار وتصلنا بنهج السلف الأبرار والأئمة الأطهار فكانت هذه الوقفات التي كتبتها لنفسي ولمن أحب أن ينظر فيها من إخواني سائلاً ربي عز وجل أن ينفع بها:

الوقفة الأولى: العلم قربة

مما ورد في فضل العلم وأهله ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي أوله "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، إلى أن قال: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

ففي هذا الحديث بيان أن طريق العلم هو طريق إلى الجنة ولذلك لو أدركته المنية وهو في طلب العلم فهو إن شاء الله في طريقه إلى الجنة فهذا فضل عظيم جميل لطالب العلم استشعاره كلما غدا لطلب العلم أو راح .

كما ينبغي استحضار النية دائماً في طلب العلم وأنك إذا جئت لطلب العلم فإنك تأتي إلي قربة تتقرب بها إلى لله عز وجل فكما أنك تذهب لتصلي في المسجد فإن إتيانك لطلب العلم قريب من ذلك ، إذا كان فرضاً فهو قريب من فرض الصلاة وفروض الأعيان الأخرى ، وإن كان نفلاً فهو من أعظم نوافل العبادات ولذلك ذكر كثير من أهل العلم - بل ربما يكون باتفاق أهل العلم - أن نوافل طلب العلم أعظم من نوافل العبادة.

الوقفة الثانية: العلم الشرعي بين سائر العلوم

إن العلم إذا أطلق في سياق المدح أو الحث عليه فالمقصود به العلم الشرعي ،لأن هذا هو العلم الحق الجدير بهذا المصطلح عند الإطلاق فإذا أريد غيرَه فيقيّد فيقال مثلاً علم الطب ، علم الهندسة ، علم الطبيعيات أو علم الكيمياء ... الخ

قال شيخ الإسلام : جماع الخير أن يستعين الله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علما (الفتاوى ١٠/٦٦٤)

ومن هنا نعلم الخطأ في تخصيص العلوم الطبيعية بمصطلح العلم أو العلمي، ويطلقون على علم الشريعة مصطلحاً آخر كعلوم التراث أو العلوم الأدبية أو يقيدونه فيقولون علم الدين في مقابل إطلاق العلم على ما سبق ذكره دون قيد مع أنه لم يرد لفظ العلم مطلقاً في الكتاب والسنة إلا ويراد به العلم الشرعي ، وأما غيره من العلوم فيأتي مقيداً كما في قوله تعالى ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾.

لفظ العلم إذا أطلق في سياق المدح أو الحث على طلبه يقصد به العلم الشرعي، فإذا أريد غيره فيقيَّد، فيقال علم الطب، وعلم الكيمياء، وهكذا

بقلم/ فهد اليحيى

ومن أجل هذا كان العلم الشرعي مما ينبغي أن يبدأ به جميع طلاب العلوم عامة، فمن ابتغى دراسة الطب مثلاً فإن من القصور ألا يكون له حظ كافٍ لمثله من العلم الشرعي وكذلك غيره ، فثم علوم شرعية هي مبادئ لا يستغني عنها المسلم في نفسه فضلاً عن أصحاب مثل هذه التخصصات ، لا يعني ذلك التوسع فيها لكن على أقل تقدير أن يأخذ من تلك العلوم الشرعية ما يكون له كالقواعد ثم ينطلق بعد ذلك إلى ما توجه إليه، فكل إنسان ميسر لما خلق له، وكلٌّ يعمل على شاكلته.

ولعل نظرة عابرة في التراجم والتاريخ توقفك على شواهد لما قلت .

المسجد بيت العلوم

فإن العلماء في أي علم كانوا إنما كانت انطلاقتهم من المسجد وغني عن البيان أنهم إنما يتلقون في مبدأ طلبهم القرآن وشيئاً من الحديث والفقه وخذ ما شئت من تراجم النحاة أو أهل الطب أو الهندسة أو الفلك أو غيرها، لتجد منهم من حفظ القرآن كله أو حفظ شيئاً منه وقرأ في التفسير والفقه والنحو أو سمع شيئاً من الحديث وما ذلك إلا أنهم قد علموا أن البداية تكون بالعلم الشرعي لأنه أساس لابد منه ، وهاك ترجمة لأحد الأطباء ذكرها ابن كثير :

يقول ابن كثير في البداية في ترجمة أحد الأطباء : هو الجمال المحقق أحمد بن عبد الله اشتغل على مذهب الشافعية وبرع فيه وأفتى وأعاد، وكان فاضلاً في الطب، وقد ولي مشيخة الخورية (مدرسة للطب) لتقدمه في صناعة الطب على غيره ا .هـ .

وإذا رجعنا إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فإننا سنجد منهم من كان تاجراً، ومنهم من كان مزارعاً، ومنهم من كان في قيادة الحروب والجهاد ومنهم من يهتم بالشعر وغير ذلك ، بيد أن ثم ما يتواردون عليه كلهم، ذلك هو حرصهم على طلب العلم من النبي ﷺ .

يقول عقبة بن عامر رضي الله عنه - كما في صحيح مسلم - : كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروّحتها بعشي فأدركت النبي ﷺ وهو قائم يحدث الناس إلى أن ذكر حديث الذِّكر في الوضوء والصلاة بعده ، والشاهد منه في قوله أنه كانت عليهم رعاية الإبل أنهم كانوا يرعون الإبل نوبة لهذا ونوبة لهذا، فإذا لم تكن نوبته جلس ليطلب العلم عند النبي ﷺ وإذا كانت نوبته فأتمها أقبل طالبا للعلم، وقال عمر رضي الله عنه :كان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت آتيه بالخبر أي عن النبي ﷺ وعمّا يحدث ، وهو القائل رضي الله عنه : لا يبع في سوقنا هذا إلا من تفقه في الدين .

إذن فالواقع الذي تعيشه كثير من البلاد الإسلامية حيث الفصل العظيم بين العلم الشرعي وبين غيره من العلوم بعيدة كلَّ البعد عن الطريقة التي كان عليها المسلمون الأوائل ، فلا جرم أثمر هذا البعد انفصاماً كانت له آثاره وانعكاساته فلربما رأيت المتخصص في بعض العلوم أو الطبيب الحاذق واقعاً في أخطاء غريبة أو متحدثاً من خلال خلفيات شرعية جرّاء كونه لم يتلقَّ الأبجديات في العلم الشرعي، والأبجديات في كل علم هي مبادؤه الأولى .

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

أطفال المسلمين كيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحدثنا في الحلقة السابقة عن حرص رسولنا ﷺ على حق الطفل في تعلم العلم والقرآن، واليوم - إن شاء الله- نتحدث عن تحمل المشاق في الرحلة من أجل طلب العلم، وعن وصايا العلماء والحكماء لطالب، وعن تأكيد نبينا ﷺ على اختيار المعلم الصالح للأبناء وما هي صفات المعلم الصالح الناجح.

الرحلة في طلب العلم:

عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، ما جئت لتجارة، قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١) .

قال أبو حاتم رحمه الله: في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا؛ هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم، ألا تراه يقول: العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته، فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء.

وعن ابن شهاب عن ابن عباس قال: «كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فلو أشاء أن أُرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعلْتُ، فأَقِيلُ على بابه حتى يخرج إليَّ فيحدثني»(٢) .

وهذا رجل من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فُضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: يا فضالة، إني لم آتك زائرًا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول الله ﷺ رجوتُ أن يكون عندك منه علم، قال: وما هو ؟ قال: كذا وكذا(٣) .

وصية لقمان الحكيم لطالب العلم:

تحمل هذه الوصية آدابًا عالية لا غنى لطالب العلم عنها . يقول شهر بن حوشب: بلغني أن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني، لا تعلَّم العلم لتباهي به العلماء، أو لتماري (تجادل) به السفهاء، أو ترائي به في المجالس، ولا تترك العلم زهدًا فيه ورغبة في الجهالة، يا بني، اختر المجالس على عينك (بنفسك)، وإذا رأيتَ قومًا يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالمًا ينفعهم علمك، أو تكن جاهلاً علَّموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمته فيصيبك بها معهم . وإذا رأيتَ قومًا لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالمًا لم ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً زادوك غيًا (ضلالة وانهماكًا في الباطل)، ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم(٤) .

وصايا العلماء لطالب العلم:

١- يجب على طالب العلم التحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن مذموم الصفات كالغضب، والشهوة، والحقد، والحسد، والكبر، والعجب . كل هذه ظلمات تحجب نور العلم . وليس العلم بكثرة الرواية وما تعيه الحافظة، وإنما هو نور البصيرة

رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

بها تميز بين الحق والباطل والضار والنافع والخير والشر والهدى والضلال .

٢- يجب أن يقلل طالب العلم من شواغله، وما يصرفه عن التحصيل وتكريس الوقت؛ إذْ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

٣- ألاَّ يتكبر المتعلم على العلم، ولا يتأمر على المعلم، بل يُذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وينبغي أن يتواضع لمعلمه، ويطلب ثواب الشرف بخدمته، ولا ينال العلم إلا بالتواضع والانتباه وإلقاء السمع، قال تعالى: ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٣٧] .

٤- ألاَّ يدع طالب العلم فنًا من العلوم المحمودة، ولا نوعًا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرًا يطَّلع به على مقصده وغايته .

٥- ألا يخوض المتعلم في فن من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم.

٦- ألا يخوض المتعلم في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج، قال اللَّه تعالى: ﴿ الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوتِهِ ﴾ أي: لا يجاوزون فنًا حتى يُحكِموه علمًا وعملاً .

٧- أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله، والعلم بالطريق الموصل لهذه العلوم .

٨- أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل القُرب من الله سبحانه وتعالى، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء، ومباهاة الأفراد، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة: ١١] .

(١٠٥) ويؤكد ﷺ على اختيار المعلم الصالح:

لا شك أن الطفل أو المتعلم عامةً يحدث بينه وبين معلمه بطول الوقت والخلطة نوع من التداخل والتقليد والموافقة والمشاكلة والخُلَّة، لذلك أمر النبي ﷺ باختيار الخليل الناجح والجليس الصالح، وبالأولى في اختيار المدرس والمعلم. قال رسول اللَّه ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(٥) .

وعن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم)(٦) .

وقال الماوردي: (يجب أن يُجتهَد في اختيار المعلم والمؤدب؛ الاجتهاد في اختيار الوالدة والظئر - المرضعة - بل أشد منه؛ فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات، أكثر مما يأخذ من والده، لأن مجالسته له أكثر، ومدارسته معه أطول، والولد قد أُمر حيث سُلِّم إلى المدرس بالاقتداء به جملة، والائتمار له دُفعة، وإذا كان هكذا فيجب ألا يُقتَصَر من المعلم والمؤدب على أن يكون قارئًا للقرآن حافظًا للغة، أو راويًا للشعر حتى يكون تقيًا، ورعًا عفيفًا، ديِّنًا، فاضل الأخلاق، أديب النفس، نقي الجيب، عالمًا بأخلاق الملوك وآدابهم، عارفًا بجوامع أصول الدين والفقه، وافيًا بما ذكرنا أنه يحتاج أن يعلمه على الترتيب، فإن فاته شيء مما ذكرنا، فلا يفوته التُّقَى والدين والفقه)(٧) .

وقد كان السلف يحرصون على اختيار المعلم والمدرس الصالح،، ولو كلَّفهم ذلك السفر والانتقال إلى أقطار بعيدة، وأموالاً عديدة.

ورُوِي أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده: (يا عبد الصمد، ليكن أول ما تبدأ به إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلِّمهم كتاب الله، ولا تستكرههم عليه فيملُّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروِّهم من الشعر أعَفَّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى علم حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهدَّدهم بي، وأدبِّهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء، وروِّهم سير الملوك، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكلن على عذر مني، فإني اتكلتُ على كفاية منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله)(٨).

وفي المقابل يوجه الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله - شيخ الأزهر سابقًا - تحذيرًا إلى المسلمين من القذف بأبنائهم بين براثن المدارس والمعلمين الذين يضلونهم ويفسدون عقائدهم، يقول:

(من الذي يستطيع أن يهيئ لولده عيشًا راضيًا، وينبته نباتًا حسنًا فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقًا لأسرته، عاملاً على إعلاء شأن أمته ؟ ! ولكنه يأبَى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده، وجنى ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلاًّ ولا ذمة، فلا يزالون يُلقنونه زَيْغًا، ويبذرون في نفسه شرًا، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا ... ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولدًا ليسلك به هداية، ويعده لأن يكون عضوًا يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة الإسلامية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: جمعيات التبشير .

إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد ... ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يُلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال، ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفةً تقيهم شر ذلك الإغواء .

ليس الذي يزجُّ بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفسًا واحدة، ولكنه يقتل خلقًا كثيرًا، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها، ولا أقول هذه مبالغةً، فقد يصير هذا الولد أستاذًا من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم، ووطنيتهم، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه الغلظة والمكر وعدم احترام الشريعة؛ ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام .

قد ينال الطالب في هذه المدارس علمًا، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه وما يفوته من الإخلاص لأمته بالشيء الذي يثقل وزنه، ولكنها الأهواء التي أخذت القلوب، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه، وهو يحمل طهرًا وطيبة، ويقوده إلى حيث يشهد ازدراء قومه والطعن في الحنيفية السمحة، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجسًا، وذلك الطيِّب خُبْثًا، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين في هذه المدارس، وما نرى)(٩) .

وإلى اللقاء بإذن الله.

الهوامش:

(١) صحيح أبي داود للألباني ٣٠٩٦، كتاب العلم .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/٩٤) .

(٣) أبو داود ج ٤ ح ٤١٦٠، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى ج ٥ ح ٩٣١٩، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، قاله الهيثمي ج ١ ص ١٣٤، وانظر السلسلة الصحيحة ح ٥٠٢ .

(٤) أحمد ح ١٦٥٠، وصحح إسناده أحمد شاكر، والدارمي، كتاب المقدمة ٣٧٩ .

(٥) سبق تخريجه بالفقرة (٨٥) .

(٦) مسلم ج ١ ص١٤، الدارمي، كتاب المقدمة (٤٢١).

(٧) نصيحة الملوك، للماوردي ص ١٧٠ .

(٨) نصيحة الملوك، للماوردي ص ١٧٢ .

(٩) نقلاً عن كتاب: منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور سويد ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

تحذير
الداعية من القصص الواهية

قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ طالبًا الاستغفار

الحلقة
«الحادية والأربعون»

بقلم
علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم ، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص واتخذتها المتصوفة دليلاً على مشروعية طلب الدعاء والشفاعة من الأموات.

أولاً : متن القصة

١- روي عن أبي حرب الهلالي قال : حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، ثم سلم على أبي بكر وعمر ثم أقبل على رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا مستشفعًا بك على ربك لأنه قال في محكم كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . وقد جئت بأبي أنت وأمي مثقلاً بالذنوب والخطايا أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع فيَّ ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ في الأرض أَعْظُمُهُ
فطابَ مِن طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

قلت : أخرج هذه الرواية بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٥/٣) (ح٤١٧٨) قال: أخبرنا أبو علي الروذباري ، حدثنا عمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن بقية إملاءً ، حدثنا سكر الهروي ، حدثنا أبو يزيد الرقاشي عن محمد بن روح بن يزيد البصري ، حدثني أبو حرب الهلالي قال : فذكر القصة .

القصة بلفظ آخر وطريق آخر

٢- رُوي عن محمد بن حرب الهلالي قال: «دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ ، فزرته وجلست حذاءه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا ، قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ
فطابَ مِن طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو

يقول : إلحق الرجل فبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده».اهـ.

قلت : هذه الرواية عزاها السبكي إلى ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير العزم الساكن ، وسنبين للقارئ الكريم الرد على هذه الرواية والرواية السابقة لها .

القصة أيضًا بلفظ آخر وطريق آخر:

٣- رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قدم علينا أعرابي بعدما تُوفي رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه إلى قبر النبي ﷺ، وحثى على رأسه من ترابه، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله عز وجل فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .

وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك. اهـ .

قلت : هذا الطريق رواه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي ، قال : حدثني أبي عن سلمة بن كهيل ، عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : فذكر كذا في «الصارم المنكى (ص٣٢٣) ، وأوردها القرطبي في «تفسيره» (١٩٢٩/٢) .

القصة أيضًا بلفظ آخر وطريق آخر:

٤- رُوي عن العُتْبي قال : كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ
فطابَ مِن طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني ، فرأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال : يا عُتْبي ، إلحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. اهـ.

قلت : هذه الحكاية أوردها ابن كثير في «تفسيره» (٥٢٠/١) وقال : «وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر الصباغ في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي قلت: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ...» القصة. اهـ

التحقيق للقصة

فائدة : لقد اغتر كثير من الخطباء والوعاظ والقصاص بوجود مثل هذه القصص في التفاسير متوهمين صحتها ويذكرون أمام العوام ومن لا دراية له بهذا الفن أن القرطبي أوردها في تفسيره، أو أن ابن كثير أوردها في تفسيره فيتوهم الناس صحتها وتنتشر القصة.

ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن كثير وسكت عنها مبينًا مصدرها ، كما أورد قصة ثعلبة بن حاطب وسكت عنها واغتر بسكوت ابن كثير مُخْتصر تفسيره الشيخ الصابوني فأورد القصة مشيرًا إلى صحتها لأنه زعم في مقدمة مختصره (ص٩) أنه اقتصر على الأحاديث الصحيحة.

يجب على طالب العلم أن يعلم:

أولاً: أن ابن كثير درج على طريق أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال، ومن أسند فقد برئت عهدته لأنه ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث .

ثانيًا : بالنسبة لمنهج ابن كثير في تخريج أحاديث «تفسيره» له طريقان في غير ما رواه الشيخان في صحيحيهما .

١- أن يذكر الحديث بإسناد مخرجه من المصنفين.

٢- أن يذكر الحديث ويخرجه بعزوه للمصنفين دون أن يسوق الإسناد وهو في كلتا الحالتين يصرح بدرجة الحديث تارة ويسكت عن ذلك تارة أخرى فيتوهم من لا دراية له بهذا الفن من السكوت الصحة كما في مثل هذه الحكاية.

التحقيق

أولاً : هذه القصة منكرة ، ولقد بين نكارتها الحافظ ابن عبد الهادي وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث الناقد النحوي المتقن الجبل الراسخ.

ولقد بين نكارة هذه القصة رحمه الله في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي» ، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية يدافع في كتابه هذا عن شيخه حيث اتهمه السبكي بتحريم زيارة قبر الرسول ﷺ ، هذه التهمة نفسها بعد سبعة قرون قام أحد القبوريين الذي لا يهمنا ذكر اسمه أو رسمه في جريدة تصدر في مصر لا يهمنا أيضًا ذكر اسمها لأننا أمام بحوث علمية حديثية، وذلك في يوم ٢٠٠٣/٨/٢٥م بإشعال نار فتنتها مجددًا هذه التهمة

في مقال بعنوان : «جماعة أنصار السنة: زيارة قبر الرسول حرام».

هذا القبوري ذكر في مقاله هذه القصة المنكرة التي ذكرها السبكي من قبل وقام ابن عبد الهادي رحمه الله في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي» بتحقيق المسائل المتعلقة بزيارة القبور ، وبين ما كان فيها من حق وزور وأظهر جهل السبكي بعلم الحديث وعدم فهمه لمقاصد الشريعة .

قال ص٢٤٦ : «هذه الحكاية التي ذكرها بعضهم :

١- يرويها عن العتبي بلا إسناد .

٢- وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي.

٣- وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي.

٤- وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها ثم دخل حتى أتى القبر ، ثم ذكر نحو ما تقدم .

٥- وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادًا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اهـ.

قلت : بعد أن بين هذه الطرق للقصة وألفاظها قال (ص٢٤٧) : «وفي الجملة : ليست هذه الحكاية المنكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة وإسنادها مظلم مختلف ولفظها مختلف فيه ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم وبالله التوفيق». اهـ.

وقال في (ص٣٢٣) : «وأما حكاية العتبي التي أشار إليها فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم كما بينا ذلك فيما تقدم وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعًا أو مندوبًا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم وبالله التوفيق». اهـ.

ثم أورد ابن عبد الهادي القصة عن علي بن أبي طالب وبين نكارتها فقال في «الصارم» (ص٣٢٣): «إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض». اهـ.

قلت : ثم ذكر علة هذا الخبر في خمسة عشر سطرًا بين مجهول ومتروك.

قلت : وفوق هذا الطعن في الرواة هناك الانقطاع في السند ، فأبو صادق أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٥٣٨/١٠٣٠٠) وقال: أبو صادق الأزدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال محمد بن سعد يتكلمون فيه ، وقال آخر لم يسمع من علي. اهـ.

قلت : ولذلك قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/٢٩٩/٨٠٢٧) :إذا روى عن علي بن أبي طالب يقال : مرسل . اهـ . وأقره الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٢/١٤٣) قائلاً : أبو صادق أرسل عن علي بن أبي طالب. اهـ.

قلت : والخبر الذي جاءت به القصة مضطرب روي من أوجه مختلفة اختلافًا لا يمكن الجمع بينها وطرقها واهية مظلمة لا يمكن ترجيح رواية على أخرى فمنهم من رواها عن العتبي بلا إسناد والعتبي هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية أبو عبد الرحمن العتبي من أهل البصرة أورده الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٣٢٤) وقال: «كان صاحب أخبار ورواية للآداب بلغني أن العتبي مات سنة ثمان وعشرين ومائتين». اهـ.

قلت : ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً فهو مجهول الحال وتجد الاضطراب واضحًا حيث إن العتبي من طبقة ما بعد الثامنة ، حيث قال الحافظ في «مقدمة التقريب» : «وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم :

١- فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة .

٢- وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة.

٣- وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين». اهـ.

وبتطبيق هذه القاعدة على العتبي وسنة وفاته فهو من طبقة ما بعد الثامنة أي من الطبقة الصغرى من أتباع التابعين فمن دونهم.

فتجد حكاية الأعرابي تروى عن علي بن أبي طالب وهو من الطبقة الأولى طبقة الصحابة ومنهم من رواها عن العتبي وهو من الطبقة الصغرى من أتباع التابعين ، ومنهم من رواها عن محمد بن حرب الهلالي ، ومنهم من رواها عنه عن الزعفراني ، ومنهم من رواها عن أبي حرب الهلالي، هذا الاضطراب في السند مع أسانيد واهية مظلمة بل هناك طرق لا أصل لها مثل الرواية عن العتبي بلا إسناد كما بينا آنفًا، وكذلك الاضطراب في المتن كما هو ظاهر من اختلاف ألفاظه .

ثانيا : تحقيق شيخ الإسلام ابن تيمية للقصة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/٢٤١) : «وأيضًا فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعًا عند أحد من أئمة المسلمين ، ولا ذكر هذا

أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين: ذكروا حكاية عن العتبي أنه رأى أعرابيًا أتى قبره وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وأنه رأى في المنام أن الله قد غفر له، وهذا لم يذكره أحد من المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين، الذين يفتي الناس بأقوالهم، ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلاً شرعيًا ، ومعلوم أنه لو كان طلبُ دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعًا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم ، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك ، وما أحسن ما قال مالك: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». قال : «ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، فمثل هذا الإمام - يقصد العتبي- كيف يشرع دينًا لم ينقل عن أحد من السلف ، ويأمر الأمة أن يطلبوا الدعاء والشفاعة والاستغفار - بعد موت الأنبياء والصالحين- منهم عند قبورهم وهو أمر لم يفعله أحد من سلف الأمة ؟ اهـ.

ثالثًا : التفسير الصحيح يدل على نكارة القصة:

إنَّ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٨٥) لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، قال: «هذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكَوْن الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك». اهـ.

قلت : وهذا هو الحق ؛ لأن إتيانه ﷺ بعد مماته غير متحقق، وإنما المتحقق إتيان قبره ، وقد نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيدًا ، ودعا الله أن لا يجعل قبره من بعده وثنًا يعبد ، حيث قال ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا ، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

صححه النووي في «الأذكار» (ص٩٣) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح٧٢٢٦) وقال الحافظ ابن عبد الهادي : هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة كما عند الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي» (ح٢٠) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/٥٧٧/٦٦٩٤).

رابعًا : الرد على تهمة تحريم زيارة قبر الرسول ﷺ :

هذه التهمة التي اتهم بها شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده أنصار السنة المحمدية .

قلت : وهذا كذب وافتراء عظيم من هذا الدعي على شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، فكتبه وفتاويه طافحة مصرحة بمشروعية زيارة قبور المسلمين عامة وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام خاصة كما يعلم ذلك كل من اطلع على شيء من كتب الشيخ ودرسها ، ومن ذلك كتابه «الرد على الأخنائي» ، وانظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٧/٢١٤- ٣١٣) ثم كتابه «الجواب الباهر في زوار المقابر» ، وهو أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣١٤- ٤٤٤)، وفيه قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣٢٩) :

١- «قد ذكرت فيما كتبته من المناسك أن السفر إلى مسجده وزيارة قبره - كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج - عمل صالح مستحب ، وقد ذكرت في عدة «مناسك الحج» السنة في ذلك وكيف يسلم عليه وهل يستقبل الحجرة، أم القبلة على قولين». اهـ.

٢- ثم قال في «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣٣٠): «ولا نهى أحدًا عن السفر إلى مسجده ﷺ، وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد ، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى». اهـ.

قلت : هذه هي السنة بفهم سلف الأمة والتي اتبعها شيخ الإسلام ابن تيمية وأنصار السنة المحمدية الذين يقولون بمشروعية السفر إلى مسجده ﷺ اتباعًا للحديث الذي أوردناه آنفًا ولتحقيق الأفضلية في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»، ثم المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ، وهذا كما بيَّنا عمل صالح مستحب ، وكذلك استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد دون خلط بين السفر وبين الزيارة.

وهذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

صحح أحاديثك

أحاديث خاصة بشهر ذي الحجة

أولاً : الترغيب في إحياء ليلتي العيد :

١- حديث : «من قام ليلتي العيدين محتسبًا لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

الحكم على الحديث : ليس صحيحًا، وهو ضعيف جدًا.

أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٥٦٧/١) (ح١٧٨٢) من حديث بقية بن الوليد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة مرفوعًا.

قلت : وعلته : بقية بن الوليد وهو مدلس تدليس التسوية وهذا النوع من شر أنواع التدليس كما في «التدريب» (٢٢٤/١)

٢- حديث : من صلى ليلة الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ؟

الحكم : ليس صحيحًا «موضوع».

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٣٧/١) (ح١٥٩).

قلت : قال الهيثمي في «المجمع» (١٩٨/٢): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن عبادة بن الصامت وفيه عمر بن هارون البلخي والغالب عليه الضعف...» . اهـ.

٣- حديث: «من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة: ليلة التروية ، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر».

الحكم : الحديث ليس صحيحًا «موضوع».

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٥٦٨/٢) (ح٩٣٤) عن سويد بن سعيد حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن وهب بن منبه عن معاذ بن جبل مرفوعًا .

قال ابن الجوزي : «هذا حديث لا يصح ، قال يحيى : عبد الرحيم كذاب ، وقال النسائي: متروك الحديث ».

قلت : فالحديث موضوع .

ملحوظة : وهذا الحديث المفترى على معاذ بن جبل جاء بلفظ آخر : «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة، وليلة النحر ، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان».

أورده المنذري في «الترغيب» (١٥٢/٢)، وعزاه إلى الأصبهاني ، وأورده بصيغة التمريض لبيان أنه لا يصح .

فائدة هامة:

قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» في هديه ﷺ ليلة النحر من المناسك (٢٢٥/١) : «ثم نام حتى أصبح ولم يحيي تلك الليلة ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء».

ثانيًا : الترغيب في الأضحية من الأحاديث التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والخطباء يوم عيد الأضحى :

١- حديث : «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه الدم ، إنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسًا».

الحكم : الحديث ليس صحيحًا «منكر».

أخرجه الترمذي في «السنن» (٧٠/٤) (ح١٤٩٣) ، وابن ماجه في «السنن» (١٠٤٥/٢) (ح٣١٢٦) ، والحاكم (١٢١/٤- ١٢٢) من طريق أبي المثنى سليمان بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا.

قلت : وحسنه الترمذي فقال : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث هشام بن عروة إلا من هذا الوجه»، وصححه الحاكم فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

قلت : وتعقبه الذهبي في «التلخيص» حيث قال: «سليمان واه وبعضهم تركه».

قلت : وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١٥١/٣) وقال : أبو المثنى شيخ يروي عن هشام بن عروة ، روى عنه عبد الله بن نافع الصايع يخالف الثقات في الروايات لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار. اهـ. ثم أخرج له هذا الحديث وجعله من مناكيره، فالحديث منكر.

فائدة هامة:

أولا تحسين الترمذي :

أ- نقل الألباني رحمه الله في «الضعيفة»

(٣٦/١) عن ابن دحية أنه قال : «كم حسن الترمذي من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية».

ب- ونقل عن الذهبي أنه قال : «لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي».

قلت : لذلك قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» : «وكان الحاكم أبو عبد الله والخطيب البغدادي يسميان كتاب الترمذي «الجامع الصحيح» ، وهذا تساهل منهما فإن فيه أحاديث كثيرة منكرة». اهـ.

قلت : هذا بالنسبة لتحسين الترمذي وأنه لا يعتمد عليه العلماء لا سيما إذا تبين الجرح كما هو مبين .

ثانيًا : تصحيح الحاكم :

الحاكم متساهل في تصحيحه ، وهذا الحديث تطبيق عملي على ذلك». اهـ.

٢- حديث : قال أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ما هذه الأضاحي؟ قال : «سنة أبيكم إبراهيم ، قالوا : فما لنا فيها؟ يا رسول الله ، قال : بكل شعرة حسنة، قالوا: فالصوف يا رسول الله، قال : بكل شعرة من الصوف حسنة».

الحكم على الحديث : ليس صحيحًا «موضوع».

أخرجه ابن ماجه (١٠٤٥/٢) (ح٣١٢٧) ، والحاكم (٣٨٩/٢) عن عائذ الله عن أبي داود عن زيد بن أرقم مرفوعًا ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». فرده الذهبي في «التلخيص» بقوله: «عائذ الله قال أبو حاتم : منكر الحديث».

قلت : وأورد هذا الحديث المنذري في «الترغيب» (١٥٤/٢) ، وحكى تصحيح الحاكم ثم رده بقوله : «بل واهية عائذ الله: هو المجاشعي ، وأبو داود : هو نفيع بن الحارث الأعمى وكلاهما ساقط». اهـ.

وأورده ابن حبان في «المجروحين» (٥٥/٣) قال: «كان ممن يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات توهمًا لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على جهة الاعتبار»، ثم أخرج له هذا الحديث ، فالحديث موضوع وهو شاهد آخر لتساهل الحاكم في التصحيح حتى لا يغتر من لا دراية له بالقواعد التي أوردناها.

٣- حديث : «يا فاطمة : قومي إلى أضحيتك فاشهديها ؛ فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه وقولي : «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين»، قال عمران: قلت: يا رسول الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة وأهل ذاك أنتم - أم للمسلمين عامة؟ قال : لا ، بل للمسلمين عامة».

الحكم : الحديث ليس صحيحًا «منكر».

أ- أخرجه الحاكم (٢٢٢/٤) من طريق النضر بن إسماعيل حدثنا أبو حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن عمران بن حصين مرفوعًا وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ فرده الذهبي بقوله : «بل أبو حمزة ضعيف جدًا وابن إسماعيل ليس بذاك». اهـ.

ب- وأورد له الحاكم شاهدًا من طريق عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورده الذهبي بقوله: «عطية واه». اهـ.

قلت : قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٨/٢-٣٩) (ح١٥٩٦) : سألت أبي عن حديث: فذكر هذا الحديث ثم قال : «فسمعت أبي يقول هو حديث منكر». اهـ.

من صحيح السنة في الأضحية

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

١- «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء».

الحديث : صحيح . أخرجه الإمام البخاري (ح٥٥٤٥) ، والإمام مسلم (ح١٩٦١) كتاب الأضاحي (ح٧).

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين».

الحديث : صحيح . أخرجه البخاري (ح٥٥٤٦) واللفظ له ، ومسلم (ح١٩٦٢) .

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى بالمركز العام

حكم إزالة شعر الظهر

يسأل س، م، ع - المنصورة:

أنا شاب غير متزوج وجسمي يمتلئ بالشعر الكثيف [بصفة خاصة في منطقة الظهر] مما يسبب لي حرجًا شديدًا لدرجة أنه لا يمكنني ارتداء قميص بدون ياقة وقد قرأت عن مراكز لإزالة الشعر الزائد بدون آثار جانبية.

وسؤالي هو: هل يجوز لي إزالة الشعر الموجود في منطقة الظهر والكتفين [فقط دون باقي أجزاء الجسم]؟

الجواب: يمكنك إزالة القدر الذي يؤذيك أو يظهر من الثياب فيسبب لك حرجًا ويكفيك هذا. والله أعلم.

حكم تشمير الأكمام ولبس القفازين للرجل في الصلاة

يسأل سائل: هل تشمير الأكمام في الصلاة ممنوع وهل يجوز أن يصلي الرجل وهو يلبس قفازًا في يده؟

الجواب: في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وأن لا أكف ثوبًا ولا شعرًا» ومعنى الكف والكفت الجمع والضم للثياب والشعر حتى لا يقعا في مصلاه وهو يصلي، فإذا دخل الرجل صلاته وهو مشمر أكمامه بقصد كفها عن الوقوع في مصلاه فلا يجوز ذلك للحديث المتقدم، أما صلاة الرجل وهو يلبس القفازين فإنهما من ثيابه وليست عازلا بينه وبين سجوده وصلاته فلا حرج في ذلك.

فقد ذهب جمهور الفقهاء وهم الحنفية والمالكية والحنابلة، وجمع من علماء السلف، كعطاء وطاوس والنخعي والشعبي والأوزاعي إلى عدم وجوب كشف الجبهة واليدين والقدمين في السجود، ولا تجب مباشرة شيء من هذه الأعضاء بالمصلي بل يجوز السجود على كمه وذيله ويده وكور عمامته وغير ذلك مما هو متصل بالمصلي في الحر أو في البرد، لحديث أنس رضي الله عنه قال: «كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض يبسط ثوبه فيسجد عليه، ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ في يوم مطير وهو يتقي الطين إذا سجد بكساء عليه يجعله دون يديه إلى الأرض إذا سجد».

وعن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسجدون وأيديهم في ثيابهم ويسجد الرجل على عمامته»، وفي رواية: كان القوم يسجدون على العمامة والقلنسوة ويده في كمه».

ميقات صلاة الفجر

يسأل السائل: أبو عبيدة مرتضى بن ناصر - طالب بجامعة الأزهر - نيجيري الجنسية عن صحة ميقات صلاة الفجر أهي متقدمة عن موعدها أم لا؟

والجواب: أن العبادات لا تبني على الشك بل على اليقين، واليقين لا يزول بالشك، وعلى ذلك يبقى الأمر بالنسبة لتحديد مواقيت الصلاة على ما هو عليه الآن لأن هذا هو المؤكد والمعمول به.

ومن أراد التفصيل في معرفة ذلك الأمر فليراجع بيان أنصار السنة عن وقت صلاة الفجر في العدد الحادي عشر، شهر ذي القعدة لسنة ١٤٢٠هـ مجلة التوحيد.

إجابة السائل بعد التوسل

يسأل سائل: ما القول فيمن يستدل على صحة التوسل وسؤال أصحاب القبور والأضرحة بأن حوائجهم تُقضى بعد أن يسألوا أصحاب تلك الأضرحة؟

الجواب: إذا كان هذا الكلام صحيحًا فنحن نطالب الذين تُقضى حوائجهم بعد سؤال أهل الأضرحة، أن يسألوهم طرد اليهود من فلسطين، وتحرير المسجد الأقصى ورفع الاضطهاد عن المستضعفين في الأرض، وإرخاص الأسعار للناس، ونسألهم أيضا إن كان توسلهم صحيحًا أن يتوسلوا إليهم ويسألوهم إيجاد وظيفة لكل خريج فور تخرجه، وتزويج كل فتاة أو شاب لم يتزوج.

فإذا لم يتم شيء من هذا ظهر كذب تلك الدعوى الرخيصة والفرية الكاذبة، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤]

فالتوسل وطلب قضاء الحاجات من أصحاب القبور شرك بنص الآية، وقد يسأل أحدهم صاحب القبر أن تتزوج ابنته أو يُشفى مريضه، وعادة تتزوج البنت إن آجلا أو عاجلا، ويُشفى المريض قريبا أو بعيدًا، ثم أن ينسب هذا إلى إجابة صاحب القبر لتوسل المخبول به، فأين الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه وليس ذلك لأحد سواه؟!!

حكم التصاوير

يسأل: أبو عبد الرحمن عبد الله عبد الرحمن بن علي - شبرا مصر - القاهرة - مصر.

أولا: ما حكم ارتداء الملابس التي عليها صور، وهل هي جائزة للأطفال فقط أم للكل استثناءً من الصور كما في الحديث «إلا رقمًا في ثوب»؟

ثانيًا: ما حكم اقتناء اللعب التي على شكل دمي أو حيوانات للأطفال، وهل هي جائزة للبنين والبنات على حدٍ سواء، أم للبنات فقط؟

ثالثًا: ما حكم معاودة الجماع بدون اغتسال؟

رابعًا: هل يجوز للمرأة نشر الثياب في الشرفة وهي ترتدي لباس الصلاة والذي قد يكون ملونًا أو مزركشًا؟

خامسًا: ما حكم اقتناء العملات والطوابع البريدية كهواية؟ علمًا بأنني توقفت عن الجمع ولكن لا يزال لدي عملات وطوابع أحتفظ بها؟ وهل يجوز بيعها؟

الجواب: أجمع جمهور العلماء على تحريم تصوير ذوات الأرواح ولو كانت رقما في ثوب وهي الصورة المسطحة وأجابوا عن هذا الاستثناء في قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة إلا رقما في ثوب» بأن التحريم للتصوير لا لجواز الاستعمال لأن النبي ﷺ استعمل الوسادتين اللتين فيهما الصورة بعد أن قطعت عائشة رضي الله عنها الثوب الذي به الصورة وجعلته وسادتين، فاستثنى العلماء من ذلك الصور المقطوعة والصور الممتهنة.

وارتداء الملابس التي بها الصور يتخذه كثير من الناس للإعجاب والتباهي حتى يصل إلى التعظيم، لأن الملابس محل للعناية والإعجاب، والصور المرقومة بها وتكون زيادة في العناية والإعجاب وليس الامتهان والإهمال، فلا يجوز لبسها ما لم تمتهن أو تقطع.

كما أنه لا تجوز الصلاة في ملابس فيها صور ذوات الأرواح من إنسان أو طير أو أنعام وكما أسلفنا لا يجوز لبسها في غير الصلاة، وتصح صلاة من صلى في ثوب فيه صور مع الإثم في حق من علم الحكم الشرعي.

ولا دليل على استثناء الأطفال من هذه الملابس.

- أما لعب الأطفال التي على شكل الحيوانات وغيرها فقد ورد النص بجوازها سواءً للبنات أو للبنين بشرط ألا تُشبه الحيوانات؛ كالتي يجعلونها على هيئة المخلوقات الحيوانية تماما، قد تتحرك فيخيل لمن يراها أنها حيوانات حقيقية.

- ولا حرج في معاودة الرجل الجماع بدون اغتسال فقد كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه في ليلة واحدة بغسل واحد لكنه أوصى بعد الجماع بقوله: «اغسل ذكرك»، وذكر بعض العلماء عن الأطباء ثبوت أغلب أمراض البروستاتا لمن نام مجامعًا دون أن يغسل ذكره.

- لا مانع أن تبرز المرأة إلى الشرفة لنشر الملابس المغسولة بشرط أن تحتجب وتحتشم عن رؤية

الجيران الأجانب لها، أما إن كانت في مكان لا يراها منه أجنبي فلا حرج في خروجها إلى الشرفة بدون الحجاب الكامل والاحتياط مطلوب.

- وكما جاز شراء الطوابع جاز بيعها، لكن هواية الاقتناء وجمع الطوابع يعد من إضاعة المال، وهو عمل بلا فائدة واحرص على أن تقتني كتب العلم النافعة ودروس العلم الشرعي.

كتابة الشيك على بياض

ويسأل سائل: هل يجوز كتابة وصل أو شيك على شخص ليأمن كيده وبأسه؟

وهل يجوز أخذ قيمة مالية مقابل التنازل عن هذا الشيك؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، فإذا قام شخص باقتراض مال من غيره أو شراء سلعة منه إلى أجل فالأولى أن يكتب هذا الدين ويسمي أجل السداد ويُشهد على ذلك عدلين من المسلمين، والذي يظهر في السؤال أنه لم يكن بين هذين الرجلين تداين ولا بيع ولا شراء، فلا يثبت الدين، ولا يصح كتابة دين على الغير بدعوى ما يسمى الأمان من كيده أو غير ذلك ثم تهديد مَن كُتب عليه هذا الوصل كل حين. وكل مبلغ - مهما كان قليلا - يحصَّل مقابل التنازل عن هذا الوصل يكون سُحتًا وأكلا لأموال الناس بالباطل والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء:٢٩]. والله أعلم

التعزية المشروعة

ويسأل سائل: ما حكم التعزية في السرادقات مع وجود المقرئين وما هي الصورة الصحيحة لتعزية أهل الميت؟ وما حكم ذبح ذبيحة تحت النعش عند خروج الميت من البيت؟

الجواب: التعزية مشروعة، وفيها تعاون على الصبر على المصيبة، ولكن الجلوس للتعزية أياما والقعود لاستقبال الناس ونصب السرادقات لذلك واتخاذ ذلك عادة لم يكن من عمل النبي ﷺ ولم يكن من عمل أصحابه، فما اعتاده الناس من الجلوس للتعزية حتى ظنوه دينًا وأنفقوا فيه الأموال الطائلة وقد تكون التركة ليتامى، وعطلوا فيه مصالحهم، ولاموا فيه من لم يشاركهم، كل هذا من البدع المحدثة التي ذمها رسول الله ﷺ في عموم قوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي الحديث الآخر: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

ويقع البعض في مخالفات عظمى وبدع منكرة كالذبح عند خروج النعش، ففيه من التباهي والرياء والسمعة، أو اعتقاد من ذبح هذه الذبيحة أنها فداء للميت، فالحذر من البدعة فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. والله أعلم.

مواريث «توزيع التركة قبل الوفاة»

ويسأل: أ. ص. م:

توفيت امرأة وتركت ميراثًا وليس لها من الأقارب إلا أولاد أخت لأم، وأولاد ابن عم، وأولاد بنت، فمن يرث ومن لا يرث؟ وما القول والعمل إذا كانت هذه المرأة قبل موتها قد كتبت ممتلكاتها باسم أولاد بنتها؟

الجواب: إذا كانت هذه المرأة قد تبرعت بأموالها حال صحتها، دون سعي منها لحرمان وارث من ميراثه، دخل تصرفها في باب الهبة الجائز شرعًا، وتنتقل ملكية هذه الأموال في حياتها لمن وهبت له وقَبِل الهبة، ولا يبقى شيء كتركة ليوزع على الورثة، أما إذا كانت تبرعت في مرض الموت فإن تصرفها هذا لا ينفذ إلا في حدود الثلث المأذون به في الوصية لقول النبي *: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»، والباقي بعد الثلث يقسم على الورثة على النحو التالي:

أولاد الأخت لا يرثون لأنهم من ذوي الأرحام.

أولاد البنت لا يرثون لأنهم من ذوي الأرحام.

أولاد ابن العم يستحقون التركة كلها تعصيبًا لقول النبي *: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر»، فيكون الباقي لهم دون الإناث، وليس هنا صاحب فرض، والعاصب هنا هو ابن ابن العم فيستحق كل التركة تعصيبًا ولا يأخذ أولاد البنت شيئًا طبقًا لقانون الوصية الواجبة، لأن المورث قد عوضهم بالتبرع حال الحياة بما يوازي ما يستحقونه بالوصية الواجبة وهو الثلث. والله أعلم

أجاب عنها:
فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

للرجال حور عين فماذا للنساء؟

سُئل: ذكر للرجال الحور العين في الجنة، فما للنساء؟

أجاب: يقول الله تبارك وتعالى في نعيم أهل الجنة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١، ٣٢]، ويقول تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس، فهو حاصل في الجنة لأهل الجنة ذكورًا كانوا أم إناثًا، فالمرأة يزوجها الله تبارك وتعالى في الجنة بزوجها الذي كان زوجًا لها في الدنيا، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر به عينها في الجنة.

أهمية دراسة العقيدة

سُئل: ما توجيه فضيلتكم لمن لا يحب دراسة العقيدة خصوصًا مسألة القدر خوفًا من الزلل؟

أجاب: هذه المسألة كغيرها من المسائل المهمة التي لابد للإنسان منها في دينه ودنياه، لابد أن يخوض غمارها وأن يستعين بالله تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها حتى يتبين له الأمر، لأنه لا ينبغي أن يكون على شك في هذه الأمور المهمة، أما المسائل التي لا تخل بدينه لو أجلها ويخشى أن تكون سببًا لانحرافه، فإنه لا بأس أن يؤجلها ما دام غيرها أهم منها، ومسائل القدر من الأمور المهمة التي يجب على العبد أن يحققها تمامًا حتى يصل فيها إلى اليقين، وهي في الحقيقة ليس فيها إشكال- ولله الحمد- الذي يثقل دروس العقيدة على بعض الناس هو أنهم مع الأسف الشديد يرجحون جانب «كيف» على جانب «لِمَ»، والإنسان مسئول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام «لِمَ» و«كيف»، فلم عملت كذا؟ هذا الإخلاص، كيف عملت كذا؟ هذا المتابعة للرسول ﷺ، وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب «كيف» غافلون عن تحقيق جواب «لِمَ»، ولذلك تجدهم في جانب الإخلاص لا يتحرون كثيرصا، وفي جانب المتابعة يحرصون على أدق الأمور، فالناس مهتمون كثيرًا بهذا الجانب، غافلون عن الجانب الأهم وهو جانب العقيدة، وجانب الإخلاص، وجانب التوحيد، لهذا تجد بعض الناس في مسائل الدنيا يسأل عن مسألة يسيرة جدًا جدًا وقلبه منكب على الدنيا غافل عن الله مطلقًا في بيعه وشرائه، ومركوبه، ومسكنه، وملبسه، فقد يكون بعض الناس الآن عابدًا للدنيا وهو لا يشعر، وقد يكون مشركًا بالله في الدنيا وهو لا يشعر؛ لأنه مع الأسف أن جانب التوحيد وجانب العقيدة لا يهتم بهما ليس من العامة فقط، ولكن حتى من بعض طلاب العلم، وهذا أمر له خطورته، كما أن التركيز على العقيدة فقط بدون العمل الذي جعله الشارع كالحامي والسور لها خطأ

أيضًا؛ لأننا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف التركيز على أن الدين هو العقيدة السمحاء وما أشبه ذلك من هذه العبارات، وفي الحقيقة أن هذا يخشى أن يكون بابًا يلج منه من يلج في استحلال بعض المحرمات بحجة أن العقيدة سليمة، ولكن لابد من ملاحظة الأمرين جميعًا ليستقيم الجواب على «لِمَ» وعلى «كيف».

وخلاصة الجواب: أنه يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة؛ ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جل وعلا، على بصيرة في أسماء الله وصفاته وأفعاله، على بصيرة في أحكامه الكونية والشرعية، على بصيرة في حكمته وأسرار شرعه وخلقه، حتى لا يضل بنفسه أو يُضل غيره، وعلم التوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه، ولهذا أسماه أهل العلم «الفقه الأكبر»، وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة، لكن يجب على المرء أيضًا أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم، ومن أي مصدر يتلقاه، فليأخذ من هذا العلم أولاً ما صفا منه وسلم من الشبهات، ثم ينتقل ثانيًا إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات؛ ليقوم بردها وبيانها مما أخذه من قبل من العقيدة الصافية، وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم، ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم، ثم ما قاله العلماء الموثقون بعلمهم وأمانتهم؛ خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرحمة والرضوان.

سُئل: ما أقسام ما أضافه الله إلى نفسه مثل وجه الله، ويد الله، ونحو ذلك؟

أجاب: أقسام ما أضافه الله إلى نفسه ثلاثة:

القسم الأول: العين القائمة بنفسها، فإضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته كقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، وقوله: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس: ١٣]، وهذا القسم مخلوق.

القسم الثاني: العين التي يقوم بها غيرها مثل قوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفًا، فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جزءًا من الله، إذ أن هذه الروح حلت في عيسى عليه السلام، وهو عين منفصلة عن الله، وهذا القسم مخلوق أيضًا.

القسم الثاني: أن يكون وصفًا محضًا يكون فيه المضاف صفة الله وهذا القسم غير مخلوق؛ لأن جميع صفات الله غير مخلوقة، ومثاله قدرة الله وعزة الله وهو في القرآن كثير.

من فقه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة وفريضة لمن استطاع لذلك سبيلا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧].

الحج لغة: هو القصد إلى معظَّم.

الحج شرعا: أعمال مخصوصة تؤدى في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص.

شروط وجوبه: الإسلام - العقل - البلوغ - الحرية - الاستطاعة - وجود محرم للمرأة.

والراجح أنه يجب على الفور بالنسبة للمستطيع لما ثبت عند ابن ماجه برقم (٢٣٣١) بإسناد صححه العلامة الألباني رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة».

وللحج مواقيت: جمع ميقات. كمواعيد وميعاد، وهناك مواقيت: زمانية، ومكانية.

فالمواقيت الزمانية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ... ﴾ [البقرة:١٨٩].

وقوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:١٩٧].

وصحَّ عن ابن عمر أنه قال أن أشهر الحج: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

المواقيت المكانية: ما ثبت في الصحيحين (البخاري ١٥٢٤/٣٨٤/٣، ١١٨١/٨٣٨/٢):

وقَّت لأهل المدينة: ذا الحليفة.

ولأهل الشام: الجحفة، ويحرمون من رابغ، وهي بمحاذاة الجحفة.

ولأهل نجد: قرن المنازل.

ولأهل اليمن: يلملم.

وقال: «هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ وقت لأهل العراق: ذات عرق، كما ثبت ذلك عند أبي داود (١٧٢٣/١٦٣/٥).

فمن أراد مكة لنسك فلا يجوز له أن يتجاوز هذه المواقيت حتى يحرم، ويكره الإحرام قبلها ورحم الله إمام دار الهجرة حيث قال لرجل أراد أن يحرم قبل ذي الحليفة «لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]».

واعلم رحمني الله وإياك أن أعمال الحج ما شُرعت إلا لعبادة الله عز وجل، وما شرعت إلا للتزود من معرفة الله سبحانه وتعالى، وما شرعت أيضا إلا لمنافع عظيمة تفوق العد والحصر وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ... ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

أركان الحج: الإحرام - الوقوف بعرفة - طواف الإفاضة - السعي بين الصفا والمروة.

واجبات الحج: الإحرام من الميقات - الوقوف بعرفة إلي الغروب لمن وقف نهارًا - المبيت: مزدلفة ليلة النحر - المبيت بمنى ليالي أيام التشريق رمي الجمار - الحلق أو التقصير - طواف الوداع.

أركان العمرة: الإحرام - الطواف - السعي.

الحج

واجبات العمرة: الإحرام من الحل - الحلق أو التقصير.

سنن الحج

أ- سنن الإحرام:

الغسل عند الإحرام - الطيب في بدنه قبل الإحرام - أن يحرم في إزار ورداء أبيضين - الصلاة في وادي العقيق لمن مرَّ به - رفع الصوت بالتلبية - التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال - الإهلال مستقبل القبلة.

ب- سنن دخول مكة:

- المبيت بذي طوى والاغتسال لدخول مكة ودخولها نهارًا.

- دخول مكة من الثنية العليا وكان يخرج عليه الصلاة والسلام من الثنية السفلى.

- أن يقدم رجله اليمنى عند الدخول إلى المسجد ويقول «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. بسم الله، اللهم صل على محمد وسلم اللهم افتح لي أبواب رحمتك».

- فإذا رأى البيت رفع يديه إن شاء لثبوته عن ابن عباس بإسناد صححه الألباني ودعا بما تيسر له وإن دعا بدعاء عمر «اللهم أنت السلام، ومنك السلام فحيّنا ربنا بالسلام».

جـ- سنن الطواف:

- الاضطباع: وهو أن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن ويُرد طرفه على منكبه الأيسر، ويكون منكبه الأيمن مكشوفا لأن النبي عليه الصلاة والسلام طاف مضطبعًا.

- استلام الحجر الأسود - تقبيل الحجر بدون إيذاء أحد - التكبير عند الركن.

- الرَّمَل في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف الأول: وهو المشي بالخُطَى السريعة المتقاربة.

- استلام الركن اليماني - الدعاء بين الركنين بهذه الدعوة «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

- صلاة ركعتين بعد الطواف خلف المقام.

- أن يقرأ عند المقام قبل الصلاة ﴿واتخذوا مقام إبراهيم مصلى﴾.

- وأن يقرأ في الركعتين الكافرون والإخلاص.

- التزام ما بين الركن والباب: بأن يضع صدره ووجهه وذراعيه عليه.

د- سنن السعي:

- قراءة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

- استقبال القبلة وهو على الصفا، وقوله: الله أكبر- ثلاثًا- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم يدعو بما شاء. يفعل مثل ذلك ثلاث مرات

- السعي بين العلمين الأخضرين سعيًا شديدًا.

- أن يفعل على المروة ما فعله على الصفا من استقبال البيت والذكر والدعاء.

هـ- سنن الخروج إلى منى:

- الإحرام بالحج يوم التروية من منزله (على أن يلاحظ سنن الإحرام السابقة).

- صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى يوم التروية والمبيت بها، حتى يصلي الفجر وتطلع الشمس.

- صلاة الظهر والعصر جمعًا وقصرًا بنمرة يوم عرفة.

ماذا عليك إن تركت ركنًا - أو واجبًا - أو سنة؟

١- من ترك ركنًا لم يصح حجه ولا يتم إلا به.

٢- ومن ترك شيئًا من الواجبات فعليه دم لفقراء الحرم.

٣- ومن ترك سنة فحجه صحيح ما دام تامًا بشروطه وأركانه وواجباته وليس عليه شيء إلا أنه فوّت على نفسه أجرًا وثوابًا والمسلم لا بد أن يستشعر دائمًا بالفقر التام لمولاه وأنه في حاجة لحسنة واحدة.

يوميات الحاج:

أولا: اليوم الثامن:

- يسمى اليوم الثامن من شهر ذي الحجة بـ «يوم التروية».
- في وقت الضحى من هذا اليوم يحرم الحاج من المكان الذي هو نازل فيه.
- يغتسل المتمتع ويتنظف ويقص أظفاره ويحف شاربه ويحلق عانته ويلبس الإزار والرداء الأبيضين، أما المرأة تلبس ما شاعت من اللباس الشرعي لها غير النقاب والبرقع والقفازين وتسدل من أعلى رأسها شيئا على وجهها ليس بصورة النقاب خاصة عند رؤية الرجال. وأما القارن والمفرد فيكون عليهما الإحرام من قبل، فلا يفعلان كما يفعل المتمتع من غسل وغيره.
- بعد ذلك من السنة على كل حاج تغطية كتفيه بعد لبس الإحرام، ثم يقول: لبيك حجًا، وهو ما يسمى «الإهلال بالحج».
- إن كان خائفًا من عائق يمنعه من إتمام الحج اشترط فقال: إن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني. وإن لم يكن خائفًا لا يشترط.
- بعدما ينوي الحج يجب عليه أن يتجنب محظورات الإحرام جميعها.
- ثم يكثر من التلبية وهي: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». ولا يقطعها حتى يرمي جمرة العقبة في اليوم العاشر.
- وينطلق إلى منى وهو يلبي حيث يصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كل صلاة في وقتها يصلي الرباعية منها ركعتين «قصرًا».
- لم يكن النبي ﷺ يحافظ على شيء من السنن الرواتب إلا سنة الفجر والوتر في السفر، ثم يبيت في منى هذه الليلة.

اليوم التاسع:

- إذا صلى الفجر، وطلعت الشمس انطلق إلى عرفة وهو يلبي ويكبر.
- يكره صيام هذا اليوم لمن هو واقف بعرفة حيث إن النبي ﷺ وقف مفطرًا حيث أرسل إليه بقدح لبن فشربه.
- من السنة النزول في نمرة إلى الزوال إن أمكن.
- ثم يكون هناك خطبة وبعدها يصلي الظهر والعصر جمع تقديم ركعتين ركعتين بأذان واحد وإقامتين.
- ثم يدخل عرفة ويتأكد أنه داخل حدودها لأن وادي عُرنة ليس من عرفة.
- ويتفرغ للذكر والتضرع إلى الله عز وجل والدعاء، عرفة كلها موقف، وإن تيسر له أن يجعل جبل الرحمة بينه وبين القبلة كان أفضل. وليس من السنة صعود الجبل.
- أثناء الدعاء يستقبل القبلة رافعًا يديه ويدعو بخشوع وحضور قلب حتى الغروب.
- ويكثر من قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».
- لا يخرج من عرفة إلا بعد غروب الشمس.
- بعد الغروب ينطلق إلى مزدلفة بهدوء وسكينة، وإذا وجد متسعًا أسرع قليلاً.
- يصلي المغرب والعشاء جمع تأخير (المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين) لا يصلي بعدهما شيئًا إلا أن يكون الوتر كما تقدم.
- ثم ينام حتى الفجر، أما الضعفاء والنساء فيجوز لهم الذهاب إلى منى بعد غياب القمر أي بعد منتصف الليل.

اليوم العاشر: يوم العيد، يوم النحر

- لابد من صلاة الفجر لجميع الحجاج في مزدلفة.
- بعد صلاة الفجر تستقبل القبلة فتحمد الله وتكبر وتهلل وتدعو الله حتى يسفر الصبح جدّا وتنطلق قبل طلوع الشمس إلى منى ملبيًا وعليك السكينة.
- إذا مررت بوادي محسّر تسرع السير إن أمكن.
- تلتقط سبع حصيات من أي مكان من طريق مزدلفة أو من منى.

ثم عليك ما يلي:

١- ترمي جمرة العقبة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى وتكبر مع كل

حصاة، فإذا انتهيت من الرمي تقطع التلبية.

- تذبح الهدي وتأكل منه وتوزع على الفقراء وهو واجب على المتمتع والقارن.

٢- ثم تحلق أو تقصر مع تعميم الرأس كله والحلق أفضل (مبتدأ باليمين)، والمرأة تقصر بقدر أنملة، وهي طرف الأصبع، وبذلك تتحلل التحلل الأول فتلبس ثيابك وتتطيب، ويحل لك جميع محظورات الإحرام إلا النساء، علمًا أنه يحصل التحلل الأول بفعل اثنين من ثلاثة (رمي- حلق- طواف).

٣- بعد ذلك تذهب إلى مكة وتطوف طواف الإفاضة (بدون رَمَل) وتصلي ركعتي الطواف.

- ثم تسعى، والسعي على المتمتع وكذلك على القارن والمفرد الذي لم يسع في طواف القدوم وبذلك يتحلل التحلل الكامل.

- وتشرب من ماء زمزم وتصلي الظهر في مكة إن أمكن.

- ثم عليك المبيت بمنى باقي الليالي.

اليوم الحادي عشر: أول أيام التشريق

- بعد المبيت بمنى، عليك المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة.

- واعلم أن هذه الأيام تُسمَّى أيام التشريق يُسن فيها كثرة التكبير بعد الصلاة وهو المقيد، والمطلق: هو أن تكبر الله في كل حال وزمان في الأسواق والطرقات وغيرها.

- ويبدأ رمي الجمرات الثلاث بعد الظهر (أي بعد الزوال).

- فتبدأ برمي الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى، التي تسمى (العقبة).

- ترمي كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى تكبر مع كل حصاة تأخذ هذه الحصيات من أي مكان من منى.

- من السنة أثناء رمي الجمرات الثلاث أن تجعل مكة عن يسارك ومنى عن يمينك.

- بعد رمي الصغرى وأنت مستقبلها جاعلاً مكة عن يسارك ومنى أو مسجد الخيف عن يمينك تذهب وأنت مستقبل القبلة جهة اليمين ثم تقف وتدعو طويلاً كما فعل رسول الله ﷺ.

- وأيضًا بعد رمي الوسطى تذهب يسارًا وأنت مستقبل القبلة ثم تدعو طويلاً.

- ثم بعد رمي جمرة العقبة تذهب ولا تقف للدعاء.

- ثم عليك المبيت بمنى.

اليوم الثاني عشر: ثاني أيام التشريق

- بعد المبيت بمنى.

- عليك أن تستغل وقتك بفع الخيرات وذكر الله تعالى.

وبعد الظهر ترمي الجمرات الثلاث وتفعل كما فعلت في اليوم الحادي عشر ترمي بعد الظهر- الصغرى- ثم الوسطى، ثم الكبرى، وتقف للدعاء بعد الصغرى والوسطى.

وبعد أن تنتهي من الرمي إن أردت أن تتعجل في لاسفر جاز ذلك.

وعليك أن تتصرف قبل غروب الشمس وتطوف طواف الوادع، لكن التأخر للحاج أفضل للرمي ولفعل الرسول ﷺ.

إذا أمكنك أن تصلي أثناء بقاءك في منى أيام التشريق في مسجد الخيف كان أفضل.

اليوم الثالث عشر: ثالث أيام التشريق وآخرها:

بعد المبيت بمنى، ترمي الجمرات الثلاث بعد الظهر وتفعل كما فعلت في اليومين السابقين.

فإذا عزمت الرجوع إلى بلدك طف طواف الوداع، والحائض والنفساء ليس عليهما طواف الوادع. وبذلك تمت مناسك الحج والحمد لله.

والحمد لله رب العالمين

قرار إشهار

رقم ٦٠٦ بتاريخ ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة القاهرة بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية. فرع حدائق حلوان

وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون

انعقاد الجمعية العمومية العادية بجماعة أنصار السنة المحمدية لعام ٢٠٠٤م

إنه في يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/١/١م اجتمعت الجمعية العمومية العادية لجماعة أنصار السنة المحمدية بمقر المركز العام - بالقاهرة - في تمام الساعة الثانية عشر ظهرًا، وقد تم اختيار مجلس الإدارة الجديد للجماعة وتم تشكيله على الوجه التالي:

م	الاســــــــم	الوظيفة
١	**د. جمال أحمد السيد المراكبي**	**الرئيس العام**
٢	**د. عبد الله شاكر محمد الجنيدي**	**نائب الرئيس العام**
٣	**د. عبد العظيم بدوي محمد**	**وكيل الجماعة**
٤	**الشيخ/ أبو العطا عبد القادر محمود**	**أمين عام الجماعة**
٥	**الشيخ/ أسامة علي سليمان**	**أمين الصندوق**
٦	**الشيخ/ زكريا حسيني**	**إدارة شئون المعاهد وشئون القرآن**
٧	**الشيخ/ فتحي أمين عثمان**	**إدارة الأيتام**
٨	**الشيخ/ علي إبراهيم حشيش**	**إدارة الدعوة والإعلام**
٩	**م/ محمد عاطف عبد الكريم التاجوري**	**إدارة المشروعات**
١٠	**الشيخ/ معاوية محمد هيكل**	**إدارة البحث العلمي**
١١	**الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**	**إدارة العلاقات العامة**
١٢	**الشيخ/ عبد الرحمن صابر الشنواني**	**إدارة الشئون القانونية**
١٣	**الشيخ/ حسن عبد الوهاب البنا**	**إدارة الوثائق والمكتبات**
١٤	**الشيخ/ محمد علي سيد شهبه**	**إدارة المخازن والمشتريات**
١٥	**الشيخ/ محمد عبد الخالق السيد عبد الرحمن**	**إدارة شئون العاملين**

والله ولي التوفيق

الأمين العام
أبو العطا عبد القادر محمود

كشاف مجلة التوحيد لعام ١٤٢٤هـ

الموضوع	الكاتب	العدد
الافتتاحية: رحيل عام وإقبال عام - عدالة الإسلام - الجهاد في سبيل الله (١)، (٢) - رفع الأمانة - نعم ونقم وابتلاءات - عظة الموت - آثار الطلاق - حال النبي ﷺ في رمضان - رحيل الشهر الكريم - كيف يُطلق المسلم - لبيك اللهم لبيك	د / جمال المراكبي الرئيس العام	١ - ١٢
كلمة التحرير: عام جديد ووقفة حساب - التتريون الجدد والحرب الصليبية - خروج الأمة غانمة من المآزق - محن وابتلاءات وكيد ومؤامرات - عزة المسلمين برجوعهم لرب العالمين - نحو خطاب ثقافي للنيل من الإسلام - دعوة حق يُراد بها باطل - عام دراسي وأمانة في الأعناق - حال الأمة في رمضان - نهاية رمضان بين تفجير وتدبير - الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين -	أ/ جمال سعد حاتم رئيس التحرير	١ - ١٢
باب التفسير: سورة الجمعة ١:٣ - المنافقون ٤:٥ - التغابن ٦:٨ - ترغيب الرحمن في صيام رمضان «البقرة ١٨٣:١٨٠» ٩ - الحمد لله على الإكمال «البقرة١٨٥» ١٠ - الطلاق ١٢:١١	د/ عبد العظيم بدوي	١ - ١٢
باب السُّنَّة: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة - هل يُتَشاءم بصفر - أخوة الدين وأخوة النسب - البيعة على الإسلام - ترك المشتبهات - أحكام في البيوع والخطبة - طاعة الرسول فيها النجاة - فضل العلم والعلماء - رمضان وتفتيح أبواب الجنان - الوصية وتقسيم التركة في حياة المورِّث - حجة النبي ﷺ - تحريم دماء المسلمين	زكريا الحسيني	١ - ١٢
الإعلام بسير الأعلام: ابن جُريج - أبو حازم الأعرج - سليمان التيمي - أبو عمرو بن العلاء - طاووس بن كيسان - الحسن البصري - زين العابدين علي بن الحسين - الأحنف بن قيس - إبراهيم النخعي - مسروق بن الأجدع - أبو مسلم الخولاني	مجدي عرفات	١ - ٥ ٧ - ١٢
ركن الأسرة: (أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين): الحلقة الثالثة عشرة : الحلقة الرابعة والعشرون	جمال عبد الرحمن	١ - ١٢

الموضـــــوع	الكاتب	العدد
تحذير الداعية من القصص الواهية: قصة لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة - قصة نبي الله داود والنعجة الواحدة - قصة السفياني والرئيس العراقي (١)، (٢)، (٣) - قصة المُغسلة والإمام مالك - كلام النبي مع ربه ليلة الإسراء - قصة علي مع النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة النصف من شعبان - قصة أبي الدرداء والذكر الجنوني - قصة مفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام - قصة الرسالة إلى عابد الحرمين - قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ طالبًا الاستغفار.	علي حشيش	١ - ١٢
أسئلة القراء عن الأحاديث:	أبو إسحاق الحويني	٢، ٣، ٤، ٩
صحح أحاديثك:	علي حشيش	١، ٥، ٦، ٧، ٨
مفاهيم عقائدية: زيادة الإيمان وانتفاؤه - نواقض الإيمان - توحيد الربوبية - توحيد الألوهية (١)، (٢) - الكفر - الشرك - الإيمان بالله - الإيمان بالملائكة (١)، (٢)، (٣)	أسامة سليمان	١ - ٨ ١٠ - ١٢
باب السيرة: تيه بني إسرائيل - قصة موسى وجملة من الأمور العجيبة - قصة البقرة - موسى والخضر - فوائد من قصة موسى والخضر - شبهات حول قصة موسى والخضر (١) حول قصة موسى والخضر (٢) قصة قارون (١)، (٢)	عبد الرازق السيد عيد	١ - ٦ ٨ ١٠ - ١٢
منبر الحرمين:		
١ - آثار المعاصي على الأمة.	حسين آل الشيخ	١
٢ - المخرج من الهوان.	سعود الشريم	٢
٣ - السلاح المهجور «الدعاء والذكر».	صالح آل طالب	٣
٤ - فتنة الاستخلاف.	صلاح البدير	٤
٥ - هجمة المنافقين على الإسلام.	صلاح البدير	٥
٦ - المرأة بين صيانة الإسلام وعبث اللئام.	حسين آل الشيخ	٦
٧ - الاعتقاد الصحيح يجمع شمل الأمة (مسجد التوحيد ببلبيس).	عبد الرحمن السديس	٧
٨ - الهدي الملائم في الزواج والولائم.	عبد المحسن القاسم	٨
٩ - صوموا لعلكم تتقون.	صالح بن حميد	٩
١٠ - الإحسان بعد شهر القرآن.	عبد المحسن القاسم	١٠
١١ - وقفات مع حجة النبي ﷺ.	سعود الشريم	١١
١٢ - حال المسلمين في الصلاة.	صالح آل طالب	١٢
اقرأ من مكتبة المركز العام: كتاب التوحيد لابن منده - أصول السنة لابن أبي	علاء خضر	١ - ٨

الموضـــــوع	الكاتب	العدد
زمنين - رسالة إلى أهل الثغر للأشعري - التبصير في معالم الدين للطبري، العقيدة الطحاوية - شرح السنّة للمزني - الاعتقاد لابن أبي يعلي - السنّة للخلال - الاعتقاد للطبري - إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي		١٠ - ١١
الواحة	علاء خضر	١ - ١٢
مختارات من علوم القرآن:		
جمع القرآن وتدوينه (٢)، (٣) -	مصطفى البصراتي	١ - ٢
نزول القرآن على سبعة أحرف - النقط والشكل في القرآن الكريم - آيات القرآن - سُور القرآن نسخ القرآن (١)، (٢) - مراحل تنزيل القرآن وكيفياتها - نزول القرآن منجمًا «مفرقًا».		٥ - ١٢
من روائع الماضي:		
عموم بعثة النبي ﷺ.	للشيخ/ محمد حامد الفقي	١
الإيمان والثقة بالله والصبر أقوى السباب النصر.	للشيخ / محمد محيي الدين عبد الحمي	٤
قصيدة العبد الفقير.	شيخ الإسلام / ابن تيمية	٦
الاختلاف بين السابقين واللاحقين.	للشيخ/ صفوت الشوادفي	٧
الدعاء في السنَّة.	للشيخ/ محمد خليل هراس	٧
تكريم الأمراء للعلماء.	للشيخ/ محمد حامد الفقي	٨
رمضان وترويض الشهوات.	للشيخ/ محمد صفوت نور الدين	٩
توحيد الله عز وجل	للشيخ/ محمد خليل هراس	١٠
حكم الله في المال هو الرشاد	للشيخ/ محمد صفوت نور الدين	١١
الفتاوى:		
من فتاوى الشيخ ابن عثيمين.		١ - ١٢
فتاوى لجنة الفتوى بالمركز العام.		٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١٢
من فتاوى اللجنة الدائمة للافتاء بالسعودية		١ - ١٠
من فتاوى دار الافتاء المصرية		١٠
موضوعات متنوعة:		
- أنصار السنة المحمدية ١ - ٤	معاوية محمد هيكل	١، ٢، ٤، ٥
- اتبعوا ولا تبتدعوا ١ - ٤	معاوية محمد هيكل	٧، ٨، ١٠، ١١
نظرات على فهم النص ١ - ٧	متولي البراجيلي	١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨
رمضان وتحسين الأخلاق	متولي البراجيلي	٩
علاج النبي ﷺ للمحبين بعد رمضان.	متولي البراجيلي	١٠
ختان الإناث من منظور شرعي	صلاح عبد المعبود	٥
فضائل شعبان - بدع ومخالفات رمضان	صلاح عبد المعبود	٩.٨
كيف نعبد الله آلاف السنين ١ - ٣	صلاح عبد الخالق محمد	١ - ٣
حوض النبي ﷺ	صلاح عبد الخالق محمد	٤
من فضائل عرفة	صلاح عبد الخالق محمد	١١
الحوقلة مفهومها ودلالتها ١ - ٤	أ.د عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	١ - ٤
فضائل الكلمات الأربع سبحان الله والحمد لله، لا إله	أ.د عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	٦

الموضوع	الكاتب	العدد
إلا الله، والله أكبر		
الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ١ ـ ٤	أ.د عبد الرزاق بن عبد المحسن	٩ ـ ١٠
فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة	الشيخ عبد المحسن بن حمد البدر	١ ـ ٨
والجماعة ١ ـ ٨		
منزلة النبي ﷺ عند ربه والمؤمنين ـ منزلة النبي ﷺ	شوقي عبد الصادق	٤، ٥، ٦، ٩، ١٢
عند المنافقين والكافرين ـ منزلة النبي ﷺ عند		
الصوفية ـ هل في الإسلام قشور ـ الإسلام أساس		
العزة		
الذكر الصوفي ـ آداب المريد عند الصوفية	فتحي عثمان	١، ٥، ٧
منهج الفرقة الناجية ـ ورفعنا لك ذكرك ـ أقيموا	حسن عبد الوهاب البنا	٢، ٥، ١٠
الدين ولا تتفرقوا فيه		
الإغراء بالميسر	د/ علي السالوس	٢
الثبات على الدين ـ العوامل المعينة على الثبات	محمد بن أحمد سيد أحمد	٢ ـ ٣
واجبنا تجاه الفتن	عبد المحسن العجيمي	٢
المنح في المحن ـ الإسلام الديمقراطي	محمد رزق ساطور	٣، ٥
النوم آية من آيات الله	محمد السقا عيد	٣
نظرة عقدية للواقع	محمد حسين يعقوب	٣
الأسرة المسلمة وحسن الجوار	أحمد عز الدين	٣
رحمة الإسلام	مصطفى سيد عارف	٤
السماحة من أخلاق الإسلام ـ موقف المسلم من الفتن	عاطف التاجوري	٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١١
مفهوم الاتباع ـ تحقيق الصبر ـ العزة ـ الزهد		
منزلة الصلاة في الإسلام	د. سعيد بن وهف القحطاني	٥
فن الموسيقى والغناء بين التحليل والتحريم	سيد مبارك (أبو بلال)	٥
أو تسريح بإحسان	د/ فهد بن عبد الرحمن اليحيي	٦
عقوق الوالدين ١ ـ ٤	محمد بن إبراهيم الحمد	٦، ٧، ٨، ٩
دروس من سيرة السلف	محمد أحمد عيسى	٦
الهدايا ما يباح منها وما يحرم	د/ عبد الرحمن النفيسة	٣
التساقط مظاهره وأسبابه	كمال عبد القوي بيومي	٨
أثر الإيمان بالله جل جلاله	صلاح أحمد الطنوبي	٨
النسيان آفة كل إنسان ـ التعليق بالمشيئة آداب	أحمد السيد إبراهيم	٨، ١٠
وأحكام		
رمضان والقرآن	سعيد عامر	٩
وأقبلت أيام الإنابة	حسين الدسوقي	٩
فقه الصيام ـ نصائح للحجيج قبل سفرهم	أبو بكر الحنبلي	٩، ١١
الاعتكاف	سمير عبد العزيز رحمه الله	٩
الصيام وبعض أسرار الكبد	د/ سمير تقي الدين	٩
كيف نفهم العقيدة ١ ـ ٤	د/ محمود عبد الرازق	٩، ١٠، ١١
الصيام بعد رمضان	أحمد يوسف	١٠
دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب	أ.د عبد الفتاح الفاوي	١٠
بيان بإعجاز القرآن	أبي سليمان حمد بن محمد	١٠
من أخبار الجماعة:		
استقبال وزير الأوقاف لوفد أنصار السنة		١
زيارة وفد أنصار السنة لوزير الأوقاف		٧
زيارة الشيخ/ السديس إمام الحرم للمركز		٧
العام لأنصار السنة.		

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهًا مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهًا مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة.
- ٥٥٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد

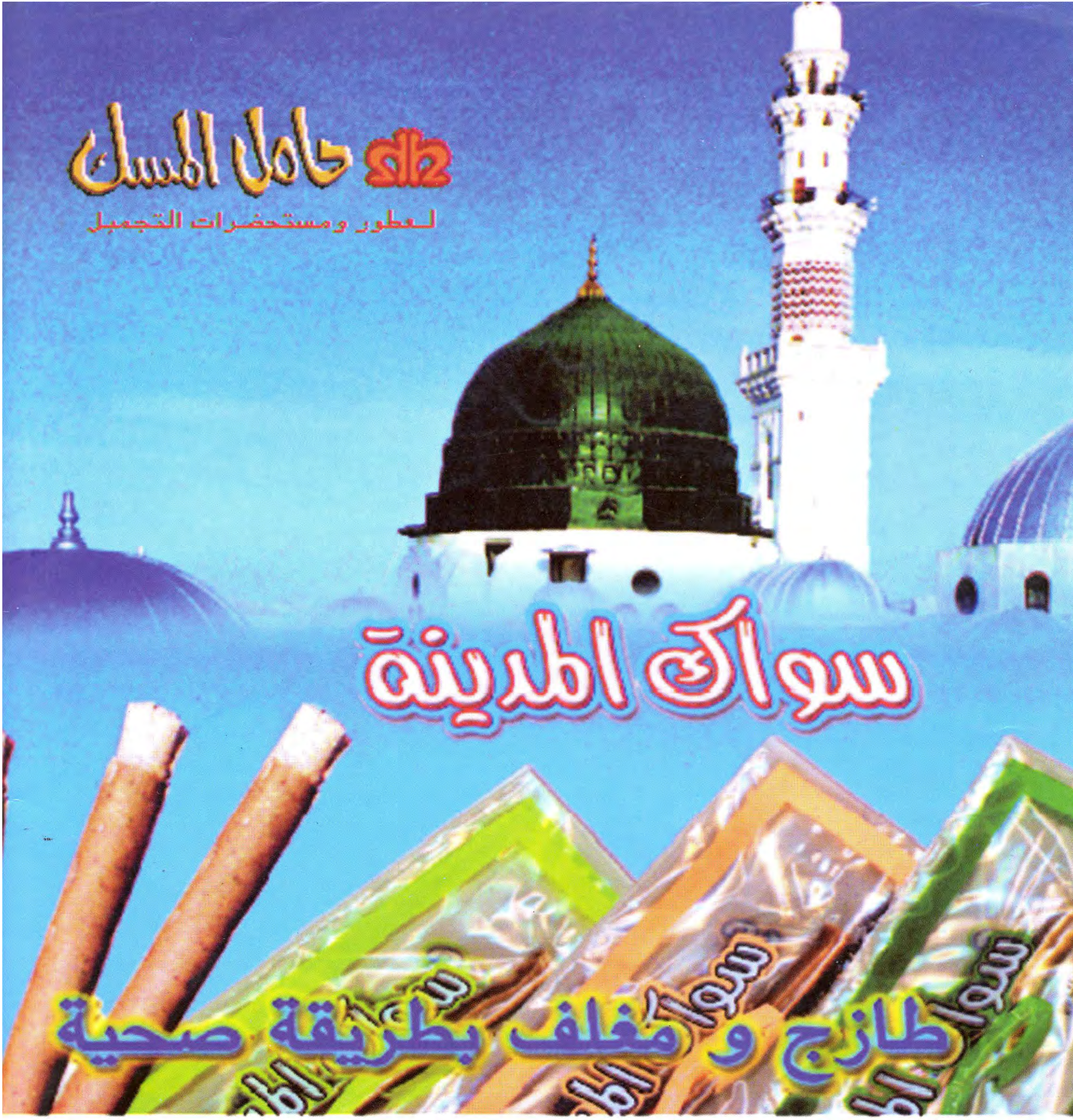
حامل المسك
لعطور ومستحضرات التجميل
سواك المدينة
طازج و مغلف بطريقة صحية

حامل المسك للعطور ومستحضرات التجميل

المملكة العربية السعودية
جدة / المنطقة الصناعية المرحلة الرابعة
ت : ٦٣٥٥١٤٤ / ٠٢ فاكس : ٦٣٥٥٧٥٧ / ٠٢

جمهورية مصر العربية
القاهرة ٣١٢٦٠٣٧/٠٢
جوال ٠١٠/٦٥٨٨٢٧٤

هدية لحجاج بيت الله الحرام من محلات حامل المسك

لا تنسى هدية الأهل والأحباب عند العودة من (المسك المحمدي) الجديد من حامل المسك